

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محفوظات جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

هوية الكتاب:

الكتاب: رائدات الولاء

المؤلف: الشيخ عبدالله إبراهيم الصالح

الناشر: دار المحجة البيضاء - لبنان - بيروت

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

هاتف: ٢٨٧١٧٩/٠٣ - ٥٤١٢١١/٠١ - تلفاكس: ٥١/٥٥٢٨٤٧

almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة طريق المرأة (٣)

رائدات الولاء

الشيخ عبدالله إبراهيم الصالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

الإهداء

إليك يا رسول الله صلى الله عليك وآلك..
وإليك يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب..
وإليك يا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء..
وإليكما يا سيدي شباب الجنة الحسن والحسين..
وإليكم أئمة أهل البيت..
عليكم جميعاً أفضل التحية وأزكى السلام..
وإلى كلِّ مُحبّة وكلِّ محب، ومعتقّدة ومعتقّد بهؤلاء الأَطهار
أهدي هذا القليل
راجياً من الله ومنهم القبول والرضا..

المقدمة

بزغ فجر الإسلام وبزغ معه الجهاد والكرامة والمقاومة والعزة، وكلّ من كان مسلماً مؤمناً في ذلك الحين كان مجاهداً مقاوماً عزيزاً، وليس هنالك فرق بين الرجل والمرأة، بل كلاهما كانا يغرفان من معين واحد، معين صاف، زلال كماء نزل لتوّه من السماء، لم تلوثه الأرض ولا ما يعلق بها..

كان الجهاد باب الجنة، فكان المؤمنون يتسابقون إليه، وقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة»^(١).

فمن لا يريد أن يكون من خاصة أولياء الله عزّ وجلّ؟!

وكان الهروب من الجهاد عاراً ما بعده عار، فكان المؤمنون لا يفرون ولا يهربون منه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٧

﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ^(١)، وقال علي عليه السلام: «فمن تركه رغبة عنه، ألْبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء، وديث بالصغار والقماء (الذل)، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف»^(٢).

وكان الجهاد عنوان المؤمن، وميراث عزته الحقيقية، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»^(٣).

وكما أنَّ للرجل مع الطواغيت والظلمة حكايات وبطولات كذلك فإنَّ للمرأة أيضاً حكايات وبطولات، وإذا كان الناس يطلقون على ظلم الطواغيت لرعاياهم من الرجال خسة وحقارة، فإنَّ ظلم الطاغوت للمرأة يعتبر جبن ونذالة، ذلك لأنَّ المرأة هي إحدى الضعيفين كما قال رسول الله ﷺ:^(٤) والتاريخ الإسلامي مليء بالقصص البطولية والمواقف الشجاعة التي أبليت فيها المرأة المسلمة البلاء الحسن، ونالت بفضل عزة الإسلام وتكريمه لها المكانة اللائقة إلى جانب أخيها الرجل.

والجهاد من أعظم القربات عند الله تعالى، و«أحب الجهاد

(١) الأنفال: ١٥ - ١٦

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٧

(٣) وسائل الشيعة، ج ١، ص ١٣

(٤) قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة»

إلى الله عز وجل كلمة حق تُقال لإمام جائر»^(١) كما قال رسول الله ﷺ.

و«رائدات الولاء» محاولة لتسليط الضوء على أوجه من بطولات المرأة الرسالية المؤمنة في مواجهة الطغاة والجبابرة، وبيان للدور النسائي في الجهاد، وقوّتهن في معارك الأُمّة الحقيقية بعيداً عن الزيف والمعارك المصطنعة اليوم، وفيه بيان لجبن ونذالة بعض من يعتبرون أنفسهم مسلمين أو ولاية للمسلمين.

كان يمكن لهؤلاء النسوة أن يبقين مغمورات، قابعات في خدورهن، وجالسات خلف خُمُرهن، لولا غباء أعدائهن، وعلى رأس هؤلاء الأغبياء، صعلوك غادر، فاجر، ما أسلم ولا عرف الإسلام طرفة عين، ما عرف الإسلام - وإن لبسه - إلا نفاقاً وتصدية، وهو الملعون على لسان النبي الأُمي الصادق الأُمين محمد بن عبد الله ﷺ، وقد خاب من افترى.

فقد جاء في الخصال، ج ١ ص: ١٩١، عن عبد الله بن عمر، قال: إنّ أبا سفيان ركب بغيراً له، ومعاوية يقوده، ويزيد يسوق به، فلعن رسولُ الله ﷺ الراكب والقائد والسائق.^(٢)

هذا الرجل هام به بعض المهوسين، وبعض المتنفعين، وبعض النكرات، الذين أرادوا أن يكون لهم حضور في التاريخ، وحظوة في المجتمع، بغضّ النظر عن ثمن هذه الخطوة أو ذلك

(١) كنز العمال: ٥٥١٠

(٢) وروى صاحب مجمع الزوائد ج ١ ص: ١١٣ مثله.

الحضور، فلَقَّبوه بما لا يستحق من الألقاب، ووصفوه بما ليس فيه، وخلعوا عليه ما لا يليق، ليلقَّبهم، ويصفهم، ويخلع عليهم، من أموال المسلمين، وحقوق المحرومين، وطعام الجياع، في أمتنا الإسلامية.

ذلك هو الطليق بن الطليق، واللعين بن اللعين، معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية.

«رائدات الولاء» محاولة لتسليط الضوء على مجموعة من هذه البطولات، سائلين المولى عزَّوجلَّ أن ينفعنا وينفع كلَّ من يطَّلع عليها، ومنه التوفيق وهو على كلِّ شيء قدير.

عبدالله الصالح

البحرين

محرم الحرام ١٤٢٦ هـ

أروى

اللسان الهاشمي الذي صدح بالحق



أروى من نساء الشيعة اللواتي وقفن إلى جانب الحق، وإلى جانب الأبطال من الرجال المناضلين، ولم تلن لجبروت معاوية بن أبي سفيان وطغيانه، ويوم استدعاها للمثول بين يديه، كانت تواجهه ببسالة الشجعان المضحين، وقوة المؤمنين الموقنين، فكانت تخاطبه تارة بلغة الناصح المشفق، وأخرى بلغة الواثق من نفسه المؤمن بعدالة قضيته، وكانت تنقض عليه كالصقر، لم تترك له سترًا إلا فضحته، ولا عيبًا إلا نشرته، حتى جعلته يتصاغر أمام نفسه، ويشعر بالذل والاحتقار أمام جلسائه.

كانت أروى القرشيّة الهاشميّة، امرأة تحمل لساناً هاشمياً لا ينزل على عدو إلا قطّعه إرباً إرباً، وهي صحابية اشتهرت بالفصاحة، عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان وكان مقامها بالمدينة.

وهي بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، عم الرسول الأكرم ﷺ، وعم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّها غريبة بنت قيس بن طريق بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وداعة بن الحارث بن فهر، تزوجها أبو وداعة بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم، فولدت له المطلب وأبا سفيان وأمّ جميل وأمّ حكيم والربعة بنت أبي وداعة.

وهي من كرائم نساء عصرها في دينها، وشجاعتها، ومنطقها، ووفائها لابن عمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن شيعته ومحبيه ومحبي آل بيت الرسول ﷺ. وكانت من المدافعات القويات عن أمير المؤمنين عليه السلام وحقه في الخلافة، كانت أغلظ الوافدات على معاوية بن أبي سفيان، حيث أسمعته ومن معه كلاماً قارصاً، وكان معاوية يخشاها ويخاف منها لتتمرها في ذات الله، ولقوة دفاعها عن أمير المؤمنين عليه السلام، ولمعرفتها بخبائث وتاريخ معاوية الأسود.

◀ قصتها مع معاوية:

لما استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بعد شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أخذ يستدعي شيعة علي عليه السلام من الرجال ومن النساء، من أجل إرهابهم وإذلالهم والتشفي منهم، لا سيما أولئك الذين كانت لهم مواقف مناهضة وحازمة ضد بني أمية.

فلما وفدت أروى على معاوية^(١) قال لها: مرحباً بك يا عمّة، كيف كنت بعدي؟

فقالت أروى:

«كيف كنت أنت يا بن أخي؟»

لقد كفرت بالنعمة، وأسأت لابن عمك الصعبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، بغير بلاء كان

(١) وقيل إن معاوية جاء للمدينة في الموسم، فدخلت عليه.

منك ولا من آبائك في الإسلام^(١)، ولقد كفرتم بما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، فأتعس الله منكم الحدود، وأصعر منكم الحدود^(٢)، وردّ الله الحق إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبينا محمد ﷺ هو المنصور على من ناواه ولو كره المشركون.

وثبت علينا قريش من بعده حسداً لنا وبغياً، فكنا أهل البيت بحمد الله ونعمته أعظم الناس حظاً ونصيباً وقدراً في الدين، حتى قبض الله رسوله ﷺ إليه مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً مرضياً عند الله.

وصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم^(٣)، وكان سيدنا فيكم -بعد نبينا ﷺ- بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: يا ابن عم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني^(٤).

فلم يجمع بعد رسول الله ﷺ لنا شمل، ولم يسهل لنا وعراً، وغايتنا الجنة، وغايتكم النار.

(١) في العقد الفريد: من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام.

(٢) في العقد الفريد: فأتعس منكم الحدود، وأضرع منكم الحدود (الجدد: الحظ والسعادة، لسان العرب ٣ ص: ١٠٨ باب: جدد، وأضرع: أذل، لسان العرب ٨ ص: ٢٢١ باب: ضرع).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم ٤٩: ﴿يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم ١٥٠: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمُ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وكان عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وغيرهما من جلاوزة معاوية ومرتزقته يستمعون إليها، فأظهروا عدم ارتياحهم لها، وقال ابن العاص: كُفِّي أيتها العجوز الضالة، أقصري من قولك مع ذهاب عقلك وغُضي من طرفك. فالتفت إليه وقالت: «من أنت لا أم لك؟»

فقل لها: إنه عمرو بن العاص.

فقالت: «يا بن اللخناء النابغة^(١)، أتكلمني، إربع على ضلعك^(٢)، واعتن بشأن نفسك، يا بن الباغية، تتكلم وأمك أشهر بغي بمكة، وأقلهن أجرة؟!»

فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها، ولا كريم منصبها، ولقد ادّعاك ستة من قريش، فسئلت أمك عن ذلك، فقالت: كلّ قد أتاها وواقعها، فانظروا أشبههم به، وألحقوه به. فغلب شبه العاص بن وائل، جزّار قريش، الأهمهم مكرّاً، وأنتنهم خبراً، ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كلّ عبدٍ عاهر، فلا ألومك بـبغضنا».

فقال لها مروان بن الحكم: أيتها العجوز الضالة، ساخ بعدك، اقصدي لِمَا جئت.

(١) في العقد الفريد: النباغة، قال الطريحي في مجمع البحرين ٥ ص: ١٦ باب: نبغ: نبغ الشيء ينبغ نبوغاً: أي ظهر، ومنه (ابن النابغة) لعمرو بن العاص لظهورها وشهرتها في البغي، وقيل بأن أسم أم عمرو بن العاص هو النابغة من بني عنزة، كما قاله ابن حجر في الإصابة ٣ ص: ٢.

(٢) أربع على ضلعك: أفعل بقدر ما تطيق، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق. (لسان العرب ٨ ص: ٢٤٤ باب: ضلع.

فقال له: «وأنت يا بن الزرقاء تتكلم؟! »

فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك
بالحكم بن العاص، وإنك لتشبهه في زرقة عينيك، وحمرة
شعرك، مع قصر قامته، وظاهر دمامته، والله لقد رأيت الحكم
بن العاص ماد القامة، سبط الشعر، وما بينكما قرابة إلا كقرابة
الفرس الضامر من الأتان المقرب، فاسأل عما أخبرتك به
أمك فإنها ستخبرك بشأن أبيك إن صدقت».

ثم التفت إلى معاوية وقالت: «والله يا معاوية، ما عرضني
لهؤلاء غيرك، وإن أمك قد قالت في أحد، شامته متبجحة بقتل
عمي الحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نحن جزيانكم بيوم بدر
والحرب يوم^(١) الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر
أبي وعمي وأخي وصهري
شفيت وحشي غليل صدري
شفيت نفسي وقضيت نذري
فشكر وحشي عليَّ عمري
حتى تغيب^(٢) أعظمي في قبري

(١) في العقد الفريد: بعد.

(٢) في العقد الفريد: ترم، ورممت عظامه، وأرمت: اذا بليت. (لسان العرب ١٢
ص: ٢٥٣ باب: رمم).

ولقد أجبتها^(١) بالأبيات التالية:

يا بنت رفاع عظيم الكفر

خزيت في بدر وغير بدر

صَبَّحَكَ اللهُ قَبِيلَ الْفَجْرِ

بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالَ الزَّهَرِ

بِكُلِّ قِطَاعٍ حَسَامٍ يَفْرِي

حَمْزَةَ لَيْثِي وَعَلِي صَقْرِي

هَتَكَ وَحَشِي حِجَابِ السِّتْرِ

مَا لِلْبَغَايَا بَعْدَهَا مِنْ فَخْرِ

فَلَمَّا سَمِعَ مَعَاوِيَةَ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ ثَارَ عَلَى ابْنِ الْعَاصِ
وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَقَالَ لَهَا: أَنْتَ مَا عَرَّضْتَنِي وَأَسْمَعْتَنِي مَا
أَكْرَهُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا عَمَّةُ اقْصِدِي حَاجَتَكَ، وَدَعِي
عَنْكَ أَسَاطِيرَ النِّسَاءِ.

قالت: «تأمر لي بألفي دينار، وألفي دينار، وألفي دينار».

قال معاوية: ما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: «أزوّج بها فقراء بني الحارث بن عبدالمطلب».

قال معاوية: هي لك، فما تصنعين بألفي دينار الثانية؟!

قالت: «أستعين بها على شدة الزمان، وزيارة بيت الله
الحرام».

(١) يعني أروى

قال: قد أمرت بها لك، فما تصنعين بألفي دينار الأخرى؟!
 قالت: «أشتري بها عينا خراّرة، في أرض خوّارة»^(١)، تكون
 لفقراء بني الحارث بن عبدالمطلب».
 قال معاوية: هي لك يا عمّة، أما والله لو كان ابن عمك
 علي ما أمر لك بها.

قالت: «صدقت، إنّ عليّاً عليه السلام أدّى الأمانة، وعمل بأمر الله
 وأخذ به، وأنت ضيّعت أمانتك، وخنت الله في ماله، وأعطيته
 من لا يستحق، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها، وبينها
 فلم تأخذ بها، ودعانا علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أخذ حقنا
 الذي فرض الله لنا، فشغل بحربك عن وضع الأمور في
 مواضعها، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به، إنّما سألتك
 من حقنا، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا، أتذكرُ عليّاً فضّ الله
 فاك، وأجهدك بلاءك».

ثمّ علا نحيبها وبكاؤها، وجعلت تقول:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا
 ألا فابكي أمير المؤمنين
 رزينا خير من ركب المطايا
 وجال بها ومن ركب السفينا

(١) أرض خوّارة: لينة سهلة. (لسان العرب ٤ ص: ٢٦٢ باب: خور، والخراّرة: عين الماء الجارية، سميت خراّرة لخبر مائها وهو صوته. (لسان العرب ٤ ص: ٢٣٤ باب: خرر).

ومن لبس النعال ومن حذاها
 ومن قرأ المثاني والمبينا
 إذا استقبلت وجه أبي حسين
 رأيت البدر راق الناظرينا
 ألا أبلغ معاوية بن حرب
 فلا قرّت عيون الشامتينا
 أفي الشهر الحرام^(١) فجعتمونا
 بخير الخلق طراً أجمعينا
 مضى بعد النبي فدته نفسي
 أبو حسن وخير الصالحينا
 كأنّ الناس إذ فقدوا علياً
 نعام حلّ في بلد سنينا
 فلا والله لا أنسى عليا
 وحسن صلاته في الراكعينا
 لقد علمت قريش حيث كانت
 بأنك خيرها حسبا ودينا
 فلا تفرح معاوية بن حرب
 فإنّ بقيّة الخلفاء فينا
 فقال لها معاوية: عفا الله عما سلف يا عمّة هات حاجتك.

(١) هكذا ورد في المصدر، والصحيح: شهر الصيام.

قالت: «مالي إليك حاجة وخرجت عنه».

فالتفت معاوية إلى أصحابه وقال: والله لو كلمها من في مجلسي جميعاً لأجابت كل واحد بغير ما تجيب به الآخر، وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم، والله إن علياً لكذا قالت وأفضل.

* * *

عادت أروى إلى المدينة من الشام ثم توفيت فيها بعد أيام، وقال الزركلي في أعلامه: إنها توفيت حدود سنة خمسين هجرية^(١).

نعم، هكذا كنّ نساء العقيدة والمبدأ يتحلّين بالشجاعة والصبر والثبات على ما أنعم الله عليهنّ بمعرفة الولاية الحقّة، فتراهنّ في حياة الإمام عليّ عليه السلام يقفن إلى جنبه يجاهدن بلسانهنّ، ويحضرن معه واقعة صفين يحرضن الرجال على القتال بشعر أو نثر، وبعد استشهاد عليه السلام واغتصاب معاوية الخلافة نراه يبعث وراءهن قاصداً إذلالهنّ وإظهار نفسه أمام الناس بأنّه يتحلّى بالعفو عند المقدرة إذ يعفو عنهنّ ويكرم بعضهنّ، إلاّ أنّهن يقفن موقفاً بطولياً ويُسْمَعْنَ معاوية ومن

(١) الأربعين حديثاً لمنتجب الدين، الحكاية العاشرة ص: ٨٩، أعيان الشيعة ج ٣ ص: ٢٤٥، أعيان النساء: ٢٤، أعلام النساء ج ١ ص: ٢٩، الدر المنثور ص: ٢٥، رياحين الشريعة ج ٣ ص: ٣٣٣، الأعلام للزركلي ج ١ ص: ٢٩٠، بلاغات النساء: ٢٧، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص: ٢٢٧، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨: ٥٠، العقد الفريد ج ١ ص: ٣٥٧.

معه كلاماً قارصاً يدلّ على ثبات عقيدتهن ورسوخها..
نعم إنّها كلمة حقّ عند سلطان جائر.

الرباب

الصابرة المجاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام



الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، توفيت بعد شهادته بسنة كمداً عليه سنة ٦٢ من الهجرة.

◀ نسبها:

ما ذكرناه في نسبها هو المذكور في طبقات ابن سعد الكبير^(١)، وهناك ما يخالف ذلك كثيراً منها:

- جاء في نسمة السحر: الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن حليم بن خباب بن كلب الكلبيّة، زوجة الحسين بن علي عليه السلام.
- وفي الأغاني: الرباب بنت امرئ القيس بن جابر بن كعب بن علي بن وبرة بن ثعلبة بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمّها هند الهنود بنت الربيع بن مسعود بن مروان بن حصين بن كعب بن عليم بن كليب، وقيل إنّ أمّها ميسون بنت عمر بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم.

(١) طبقات ابن سعد الكبير ج ٨ ص: ٣٤٨

وقال صاحب الأغاني: إنّ الرباب كانت من خيار النساء
وأفضلهن .

وقال صاحب نسمة السحر: كانت من خيار النساء جمالاً
وأدباً وعقلاً، أسلم أبوها في زمن الخليفة الثاني عمر بن
الخطاب، وكان نصرانياً من عرب الشام، فما صلى الله صلاة
واحدة حتّى ولّاه عمر على من أسلم بالشام من قضاة، وما
أمسى حتّى خطب إليه علي بن أبي طالب ابنته الرباب على
ابنه الحسين فزوجه إيّاها.

وفي الأغاني بسنده خطب إليه علي بناته له ولولديه
الحسين عليه السلام، فقال: ولدت الرباب للحسين سكيّة عفيفة
قريش، وعبد الله بن الحسين (الرضيع)، قُتل يوم الطف في
حجر أبيه وأمه تنظر إليه، وخطبها الخطاب بعد استشهاد
الحسين عليه السلام فأبّت، وقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله، وكانت شاعرة مجيدة، ولها رثاء في الإمام
الحسين عليه السلام:

إنّ الذي كان نوراً يستضاء به

بكر بلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صاحبة

عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به

وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين يغني
ويؤوي إليه كلّ مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركم
حتّى أغيب بين الرمل والطين
وقالت الرباب أيضاً وهي بالشام بعد ما أخذت رأس
الحسين عليه السلام وقبلته ووضعتة في حجرها:
واحسينا فلا نسيت حسينا
أقصده أسنة الأعداء
غادروه بكر بلاء صريعا
لا سقى الله جانبي كربلاء^(١)
وكان الإمام الحسين عليه السلام يحبّها حباً شديداً كباقي زوجاته،
وقال فيها وفي ابنتها سكينه:
لعمرك إنني لأحبّ داراً
تحلّ بها سكينه والرباب
أحبّهما وأبذل جل مالي
وليس لعاتب عندي عتاب
وقال ابن الأثير^(٢): كان مع الحسين في كربلاء امرأته الرباب
بنت امرئ القيس، وهي أمّ ابنته سكينه، وحملت إلى الشام
فيمنّ حمل من أهله، ثمّ عادت إلى المدينة فخطبها الأشراف

(١) تاريخ القرمانى ص ٤ وتذكرة الخواص ص ١٤٧

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص: ٤٥

من قريش فقالت: «ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ،
وبقيت بعده سنة لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت أسفاً
وكمداً عليه».

الزرقاء

لسان الصدق المدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام



هي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية الأصل،
الكوفية المسكن، من ذوي الشجاعة والفصاحة، ومن المؤمنات
المواليات لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شهدت وقعة
صفين، وخطبت فيها مراراً، تحرّض الناس على نصره علي بن
أبي طالب عليه السلام وقتال معاوية.

وكانت ممن يدعو ويُعين علياً يوم صفين، وكيف لا تدعو
لنصرة الإمام علي عليه السلام؟ أوليست هي من همدان الذين عُرفوا
بحبّهم له وحبّه لهم، والذين قال فيهم:
فلو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
والذين نظم قوله فيهم السيد الحميري في أبيات ميمية
حيث قال:

قول علي لحارث عجب
كم ثمّ أعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني
من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرفه وأعرفه
 بنعته واسمه وما فعلا
 وأنت عند الصراط تعرفني
 فلا تخف عشرة ولا زلا
 أسقيك من بارد على ظمأ
 تحاله في الحلاوة العسلا
 أقول للنار حين تعرض
 للعرض دعيه ولا تقبل الرجال
 دعيه لا تقربيه إنَّ له
 حبلا بحبل الوصي متصلا
 فلقد ناصروه بسيوفهم وألستهم، ولم تكن الزرقاء إلا
 واحدة منهم، لم ينس التاريخ خطبتها المصقعة، وهي راكبة
 جملاً أحمر^(١).

◀ قصّتها مع معاوية:

لَمَّا تَمَّ الأمر لمعاوية أمر عامله في الكوفة بإحضار الزرقاء
 بنت عدي الهمدانية إليه، فعن عبيد الله بن عمرو الغساني، عن
 الشعبي، قال: حدثني جماعة من بني أمية، ممن كانوا يسمرون
 مع معاوية، فقالوا:
 بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد إذ

(١) تراجع أعلام النساء ٢: ١١٨.

ذكروا الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية، وكانت شهدت ضدّ قومه صفين، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟

قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين.

فقال معاوية: فأشيروا عليّ في أمرها؟

قال بعضهم: نشير عليك بقتلها.

فقال: بئس الرأي الذي أشرتُم به عليّ، أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنّه قتل امرأة بعدما ظفر بها؟!

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه، مع بعض محارمها، وبعض فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاءً ليناً، ويستترها بستر خفيف، ويوسع لها في النفقة.

فأرسل إليها فأقرأها الكتاب، فقالت: «إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إليّ فأني لا آتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولى».

فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به، فلمّا دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً، قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟

قالت: «بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة».

فقال: كيف كنت في مسيرك؟

قالت: «ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً».

فقال: بذلك أمرناهم، أتدريين فيما بعثت إليك؟

قالت: «أتني لي بعلم ما لم أعلم».

فقال: ألسنت الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفين

يوم صفين، تحضّين على القتال، وتوقدين الحرب، فما حملك على ذلك؟

قالت: «يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعد الأمر».

فقال لها معاوية: صدقت، أتخفظين كلامك يوم صفين؟

قالت: «لا والله، لا أحفظه، لقد أنسيته».

فقال: لكني أحفظه، لله أبوك حين تقولين:

«أيّها الناس ارجعوا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة، غشتكم جلايب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجّة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء، لا تسمع لنا عقها، ولا تنساق لقائدها، إنّ المصباح لا يضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه».

أيّها الناس، إنّ الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنّ قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله، فلا يجهلن أحد فيقول: كيف العدل وأنّى؟ ليقض الله أمراً كان مفعولاً.

ألا وإنّ خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده، والصبر خير في الأمور عواقباً، أيها في الحرب قدماً، غير ناكصين ولا متشاكسين».

ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شركت علياً في كل دم سفكه.
قالت: «أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمثلك بشر
بخير، وسر جليسه».

فقال: أو يسرك ذلك؟

قالت: «نعم والله، لقد سررت بالخبر، فأنى لي بتصديق
الفعل».

فضحك معاوية وقال: والله لو فاؤكم له بعد موته أعجب
من حبكم له في حياته، اذكري حاجتك؟

قالت: «يا أمير المؤمنين آليت على نفسي أن لا أسأل أميراً
أعنت عليه أبداً، ومثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد من غير
طلب».

فقال: صدقت، وأمر لها وللذين جاؤوا معها بجوائز
وكسا^(١).

(١) كتاب فن الخطابة للكاتب إبراهيم البدوي، العقد الفريد: ج ٢ ص: ١٠٦،
وبلاغات النساء ص: ٣٢، وأكملناه من البلاغات، وقاموس الرجال ج ١٠ ص:
٤٤٠، ومحادثات النساء ص: ٧٦.

بركة

أمّ النبي ﷺ بعد أمه آمنة



هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان، تُعرف وتُكنى بأُم أيمن، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته.

قيل: إنها كانت لأخت خديجة، فوهبتها لرسول الله ﷺ، وقيل: إنها كانت لرسول الله ﷺ، وقيل: إنها كانت لعبد الله ابن عبد المطلب، وقيل: إنها كانت لآمنة بنت وهب، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ حضنته، وبقيت ملازمة له طيلة حياتها، وكانت كثيراً ما تدخل السرور على قلبه بملاطفتها إياه.

وفي الاستيعاب: غلبت عليها كنيتهَا، كُنيت بابنها أيمن بن عبيد، ويقال لها: مولاة رسول الله ﷺ، وخادم رسول الله ﷺ، وحاضنة الرسول ﷺ.

وعن الواقدي: أُم أيمن، اسمها بركة كانت لعبد الله بن عبد المطلب، وصارت للنبي ﷺ ميراثاً.

أعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج بأُم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج بمكة فولدت له أيمن، ولما توفي زوجها النبي ﷺ زيد بن حارثة، فولدت له أسامة، فأسامة وأيمن أخوان لأُم.

وفي الطبقات الكبيرة لمحمد بن سعد: أم أيمن واسمها بركة مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه وخمسة أجمال أوراك وقطيعاً من الغنم، فأعتق رسول الله ﷺ أم أيمن حين تزوج خديجة بنت خويلد، فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث بن الخزرج، فولدت له أيمن، صاحب النبي ﷺ وقُتل يوم حنين شهيداً، وكان أحد العشرة الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم حنين حين انهزم الناس، وكان التسعة من بني هاشم والعاشر أيمن، فقتل أيمن وثبت التسعة.

وقال ابن سعد: كان زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى خديجة بنت خويلد فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة، فولدت له أسامة بن زيد، وكانت أم أيمن تلطف بالنبي ﷺ وتقوم عليه فقال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد. أسلمت في الأيام الأولى من البعثة النبوية.

وهي مهاجرة جلييلة من المهاجرات الأول، هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة، وهاجرت بمفردها من مكة إلى المدينة سيراً على الأقدام، وليس معها زاد. واشتركت في غزوة أحد، وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وكانت تحثو التراب في وجوه الذين فرّوا من المعركة، وتقول لبعضهم: «هاك المغزل وهات سيفك»، وشهدت مع رسول الله ﷺ غزوتي خيبر وحنين.

وروى في الاستيعاب بسنده أن رسول الله ﷺ كان يقول: «أم أيمن أُمي بعد أُمي».

وبسنده أنه ﷺ كان يقول لها: «يا أمّاه»، وكان إذا نظر إليها قال: «هذه بقيّة أهل بيتي»، ولمّا توفيت آمنة أمّ النبي ﷺ قال: «أم أيمن أُمي بعد أُمي»، وكان يكرمها ويزورها.

وجاءت أم أيمن يوماً إلى النبي ﷺ فقالت: «أحملني».

فأراد ﷺ أن يلاطفها فقال: «أحملك على ولد الناقة؟»

قالت: «يا رسول الله، إنه لا يطيقني ولا أريده».

فقال ﷺ: «لا أحملك إلّا على ولد الناقة»، وكان يقصد الجمل.

وقال محمد بن عمر الواقدي وقد حضرت أم أيمن أحداً وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ.

ولمّا قبض النبي ﷺ بكّت أم أيمن فقبل لها: ما يبيكيك؟

فقالت: «أبكي على خبر السماء».

وعن أنس قال: إنّ أم أيمن بكّت حين مات النبي ﷺ، فقبل لها: أتبكين يا أم أيمن؟

فقالت: «والله لقد علمت أنّه سيموت، ولكنني إنّما أبكي على الوحي إذ انقطع عنا من السماء».

وكذلك هذا القول يدلّ على حبّها الشديد وتعلّقها
بالنبي ﷺ والوحي.

لقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا
الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾^(١)، أنّه سُئِلَ من
هم؟

قال عليه السلام: «نساؤكم وأولادكم»، ثمّ قال عليه السلام: «أرأيت
أمّ أيمن فإنّي أشهد أنّها من أهل الجنة، وما كانت تعرف ما
أنتم عليه»^(٢).

وفي أمالي الصدوق: المجلس التاسع عشر يوم الجمعة لثمان
بقين من شهر رمضان سنة ٣٦٧هـ حدثنا الشيخ الفقيه أبو
جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي
حدثنا سعد بن عبدالله عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي عن
محمد بن عيسى وأبي إسحاق النهاوندي عن عبدالله بن حماد
قال: حدثنا عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام
قال: «أقبل جيران أمّ أيمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا
رسول الله إنّ أمّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي
حتّى أصبحت.

فبعث رسول الله ﷺ إلى أمّ أيمن فجاءته فقال لها: يا أمّ
أيمن لا أبكي الله عينيك، إنّ جيرانك أتوني وأخبروني أنّك لم

(١) سورة النساء: ٩٨

(٢) أصول الكافي ٢: ٢٩٨ حديث ٦ باب المستضعف، وعنه البرهان في تفسير
القرآن ١: ٤٠٧.

تزال الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينيك ما الذي أبكاك؟! قالت: يا رسول الله رأيت رؤيا عظيمة شديدة فلم أزل أبكي الليل أجمع.

فقال لها رسول الله ﷺ: فقصّيهما على رسول الله فإن الله ورسوله أعلم.

فقالت: تعظم علي أن أتكلم بها. فقال لها: إن الرؤيا ليست على ما تُرى فقصّيهما على رسول الله.

فقالت: رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي .

فقال لها رسول الله ﷺ: نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين فتربينه وتلينه فيكون بعض أعضائي في بيتك. فلما ولدت فاطمة الحسين فكان يوم السابع أمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة وعق عنه ثم هيأته أم أيمن ولقته في برد رسول الله ﷺ ثم أقبلت به إلى رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بالحامل والمحمول، يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك.

وبلغ من مكانتها عند الزهراء عليها السلام، أنه جاء في خبر وفاتها عليها السلام: أنها لما مرضت دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس وعلياً عليهما السلام، وفي روضة الواعظين أنها لما نعت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف علي فأحضرته، وفي ذلك من الدلالة على حسن حال أم أيمن

ما لا يخفى.

وقال القطب الراوندي في فقه القرآن: وروي أنّ النبي ﷺ كانت عنده ودائع بمكة، فلما أراد أن يهاجر أودعها أم أيمن، وأمر علياً عليه السلام بردها على أصحابها^(١).

وروى ذلك أيضاً المحدث النوري في مستدرک الوسائل^(٢). وهي التي استشهدت بها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في خصوص فذك.

ومما يدل على جلالها نزول دلو الماء إليها وشربها منه حين عطشت بين مكة والمدينة ودنى منها الهلاك وتضرّعت إلى الله تعالى^(٣).

فأخذته وشربته حتى رويت، وكانت تقول: «ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر، فما عطشت».

وإن دلّ هذا على شيء فإنّها يدلّ على كرم الله على هذه المرأة المؤمنة، ومنزلتها العالية عند الله وعند رسوله ﷺ.

وأم أيمن من رواة الحديث، روت عن النبي ﷺ، وروى

(١) فقه القرآن ٢ : ٦١.

(٢) مستدرک الوسائل ٢ : ٥٠٤ نقلًا عن عوالي اللآلي ١ : ٢٢٣ و ٤٥٣ حديث ١٠٥ و ١٨٧، ٢ : ٣٤٤ حديث ٩، ٣ : ٢٥٠ حديث ١. وفيه : روى أنس بن مالك وأبي بن كعب وأبو هريرة كلّ واحدٍ على الإنفراد عن النبي ﷺ أنّه قال : « أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك »، وكانت عنده ﷺ ودائع بمكة، فلما أراد أن يهاجر أودعها أم أيمن، وأمر علياً عليه السلام بردها.

(٣) تنقيح المقال ٣ : ٧٠.

عنها عدّة من الصحابة منهم: أنس بن مالك، وابن عبد الله الضعاني وقيل: الضنعاني، وأبو زيد المدني، وغيرهم، كما جاء في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص: ٤٥٩.

اختلف في تاريخ وفاتها، ف قيل: توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أو ستة أشهر، وقيل: توفيت بعد وفاة عمر ابن الخطاب بعشرين يوماً، ودفنت في المدينة المنورة، وقيل توفيت في أول خلافة عثمان، كما حكاه ابن سعد في الطبقات الكبير، عن محمد بن عمر الواقدي، وكانت خلافة عثمان سنة ٢٤هـ، وفي الإصابة عن الزهري بسند صحيح أنّها توفيت بعد رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وذلك سنة ١١هـ، ويعارضه حديث طارق: أنّها كانت حيّة بعد ما قُتل الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب.

أمّ البراء

الشاعرة الموالية



من الشاعرات المجيدات، المواليات لأمر المؤمنين عليه السلام،
والحاضرات معه في صفين، لها أشعار في حض الرجال على
القتال، وتشجعهم على مواجهة العدو، ولها أشعار في الرثاء،
منها في رثاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن قتله
ابن ملجم لعنة الله عليه:

يا للرجال لعظم هول مصيبة
فدحت فليس مصابها بالهازل
الشمس كاسفة لفقد إمامنا
خير الخلائق والإمام العادل

◀ قصتها مع معاوية:

جاء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، عن أبي عبد الله
محمد بن زكريا، قال: حدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا
سهيل بن أبي سفيان التميمي، عن أبيه، عن جعدة بن هيرة
المخزومي، قال: استأذنت أمّ البراء بنت صفوان بن هلال على
معاوية، فأذن لها.

فدخلت في ثلاثة دروع^(١) تسحبها، وقد كان على رأسها
كور^(٢) كهيئة المنسف^(٣)، فسلمت ثمّ جلست، فقال: كيف
أنت يا بنت صفوان؟

قالت: «بخير يا أمير المؤمنين».

فقال: كيف حالك؟

قالت: «ضعفت بعد جلد، وكسلت بعد نشاط».

فقال معاوية: شتان بينك اليوم وحين كنت تقولين:

يا عمرو دونك صار ما ذا رونق

عضب^(٤) المهزة ليس بالخواار

أسرج جوادك مسرعاً ومشمرأ

للحرب غير معرد^(٥) لفرار

أجب الإمام ودب تحت لوائه

وأفر العدو بصارم بتار

يا ليتني أصبحت ليس بعورة

فأذب عنه عساكر الفجار

(١) درع المرأة: قميصها (الصحيح ٣ ص: ١٢٠٦ باب: درع).

(٢) كار العمامة على رأسه يكورها: أي لاثها، أي: دارها (الصحيح ٢ ص: ٨٠٩

باب: كَوَّرَ، القاموس المحيط ٢ ص: ١٢٩ باب: كور).

(٣) المنسف: ما ينسف به الطعام، وهو شيء طويل منصوب الصدر وأعلاه مرتفع (الصحيح ٤ ص: ١٤٣١ باب: نسف).

(٤) العضب: السيف القاطع (الصحيح ١ ص: ١٨٣ باب: غضب).

(٥) عرد الرجل تعريداً: اذا فر (الصحيح ٢ ص: ٥٠٨ باب: عرد).

قالت: «قد كان ذاك ومثلك عفا، والله تعالى يقول: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾»^(١).

قال معاوية: هيهات، أما أنه لو عاد لعدت، ولكنه اخترم دونك، فكيف قولك حين قُتل؟
قالت: «نسيته».

فقال بعض جلسائه: هو والله حين تقول يا أمير المؤمنين:

يا للرجال لعظم هول مصيبة
فدحت فليس مصابها بالهازل
الشمس كاسفة لفقد إماننا
خير الخلائق والإمام العادل
ياخير من ركب المطي ومن مشى
فوق التراب لمحتفٍ أو ناعل
حاشا النبي لقد هددت قواءنا
فالحق أصبح خاضعا للباطل

فقال معاوية: قاتلك الله يا بنت صفوان، ما تركت لقائل مقالا، اذكري حاجتك.

قالت: «هيهات، بعد هذا، والله لا سألتك شيئا».

ثم قامت فعثرت فقالت: «تُعَسَّ شانيء علي».

فقال معاوية: يا بنت صفوان زعمت أن لا أحبه.

(١) المائدة آية رقم: ٩٥.

قالت: «هو ما علمت»^(١).

فلَمَّا كان من الغد، بعث إليها بكسوة فاخرة، ودراهم كثيرة، وقال: إذا أنا ضيّعت الحلم فمن يحفظه؟^(٢).

(١) بلاغات النساء آية رقم: ٧٥ (انظر: أعيان الشيعة ٣ ص: ٤٧٥، أعيان النساء

ص: ٤٦، رياحين الشريعة ٣ ص: ٣٦٦).

(٢) كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.

أمّ البنين

فادية السبط الشهيد بأقمارها الأربعة



فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة أخي لبيد الشاعر بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابية، التي تعرف بكنتيتها (أم البنين)، زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي من بيت عريق في العروبة والشجاعة.

تزوجها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بإشارة أخيه عقيل حين طلب منه أن يختار له امرأة قد ولدها الفحولة من العرب ليتزوجها فتلد له غلاماً فارساً، وكان عقيل نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم فاخترها له وقال: إنه ليس في العرب أشجع من آبائها، ولا أفرس.

فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس ثم عبدالله ثم جعفرًا ثم عثمان، وكلهم استشهدوا في كربلاء بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

كانت فاطمة بنت حزام الكلابية شاعرة فصيحة، وكانت تخرج كل يوم إلى البقيع ومعها عبيدالله ابن ولدها العباس فتندب أولادها الأربعة خصوصاً العباس أشجى ندبه وأحرقها، فيجتمع الناس يسمعون بكاءها وندبتها، ويقال إن مروان بن الحكم - على شدة عداوته لبني هاشم - يجيء فيمن يجيء مع السامعين لها، ولا يزال يسمع ندبتها ويبكي،

ومن قولها في رثاء ولدها العباس عليه السلام ما أنشد أبو الحسن
الاحفش في شرح كامل المبرد:

يا من رأى العباس كراً

على جماهير النقد^(١)

ووراه من أبناء حيدر

كلّ ليث ذي لبد

أنبت أن ابني أصيب

برأسه مقطوع يد

ويلي على شبلي أمال

برأسه ضرب العمد

لو كان سيفٌ في يديه

لما دنا منه أحد

ومن المعالم التاريخية التي ترتبط بصورة مباشرة بفاجعة
الحسين هو قبر أم البنين عليها السلام وتسميّة (القبر) يعود من حيث
لا مرقد ولا مقام لهذه السيدة أسوة بالأئمة الأربعة وبقية قبور
البقيع الغرقد في المدينة.

وقبر أم البنين يقع في المدخل الغربي للبقيع والمطل على
مسجد النبي صلى الله عليه وآله وتعلوه أحجار وتربة بالية ومدرسة لا
أثر له ولا رسم إذ يشير إلى مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام ومن

(١) والنقد: نوع من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، وزاد البيت حسناً أن
العباس من أساء الاسد.

ينتسب لهم^(١).

(١) هنا لتعميم الفائدة أذكر قصيدة رائعة من قلب محب والهِ ينقل شوقه وأحزانه ولواعج أشجانه وهو الشيخ هادي الكربلائي رَحِمَهُ اللهُ وَأَسْكَنَهُ فسيح جنانه، أثناء زيارة مقبرة البقيع (بقيع الغرقد)، حيث قال في رثاء ساكنيها عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام:

وما عسى أقول في البقيع
وناره تشبّ في ضلوعي
ياليتنا البقيع ما شهدنا
ولا بذاك الحال قد وجدنا
إذ لا يطيق وصفه لساني
وكلّ مما قد دهى بياني
مراقد الأئمة العليّة
آثارها يا للهدى خفية
قبر الإمام المجتبيّ الزكيّ
أخ الحسين مهجة النبيّ
من كابد الأهوال في حياته
وشكّ بالنبال في وفاته
في الحالتين شخصه مظلوم
واليوم قسراً قبره مهذوم
والسيد السجّاد من قاسى المحن
مدفنه بجنب عمّه الحسن
وشبله الباقر للعلوم
بجنبه بمرقد مهذوم
وصادق الأقوال ذي المآثر
مدفنه جنب أبيه الباقر
قبورهم في الشمس تحت السما
حقّ لهذا الرزء نكي دما
وقد منعنا عندهم عن البكاء
قسراً والله العظيم المشتكى
بالحزن نُحْنِي والأسى والزنين
لَمَّا رأينا قبر أمّ البنين
ذكرتُ لَمَّا صرت عند القبر
سؤالها باكية من بشر
يا بشر أخبرني عن الحسين
ريحانة القلب ونور العين

وهي: فاطمة بنت حزام الكلابية، زوجة الإمام علي عليه السلام
 بعد الزهراء، حيث تزوّجها لتلد له أولاداً يدافعون عن الدين
 وولده الحسين بكر بلاء، فحدث ما أراد عليه السلام فولدت له
 أولاداً ذوّوا كمال وجمال وهيبة وشجاعة وهم: العباس وعبد
 الله وجعفر وعثمان، كلّهم استشهدوا مع أخيهم الحسين عليه السلام
 فأصبحت هذه الأمّ مثلاً للوفاء وقيل فيها:

أمّ البنين وما أسمى مزاياك
 خلّدت بالصبر والإيمان ذكراك
 أبناؤك الغر في يوم الطفوف قضوا
 وضمخوا في ثراها بالدم الزاك^(١)
 لمّا أتى بشرينعاهم ويندبهم
 إليك لم تنفجر بالدمع عيناك
 وقلت قولتك العظمى التي خلدت
 إلى القيامة باقٍ عطرها الزاك
 أفدي بروحي وأبنائي الحسين إذا

عاش الحسين قرير العين مولاك
 هي أمّ للشهداء الأربعة الذين سقطوا بين يدي مولاهم
 وإمامهم الحسين بن علي عليه السلام، وهي وليدة الشجاعة وقرينة
 الإيمان وعديلة الوفاء، والنبت الذي غرسه فحول العرب

(١) وقيل:

أبناؤك الغر في يوم الطفوف قضوا

حياهم الله بالبشرى وحياك.

لينجب تجربة ثورية رائدة وجديدة في عالم الاستشهاد.

تزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وعاشت معه في رحاب طاهر ودافئ مدة ليست بالقليلة.

وعرفت أنها من النساء الفاضلات، العارفات بحق الإمام وأولاده من فاطمة الزهراء عليها السلام، فأخلصت في ولائها لهم، متممّة في مودتهم، وبلغ بها الوفاء حداً لا يوصف، فلمّا أدخلت على الإمام علي عليه السلام، كان ولداه الحسن والحسين مريضين، فأخذت تشاظرهما الألم وتصبرهما، ومن حسن فعالها أنها طلبت من الإمام أن لا يناديها باسمها كي لا يتذكّر الحسنان وزينب وأمّ كلثوم أمهم فاطمة فيعيدوا عليهم آلام الفراق، وتشتدّ الحرقه، فاقترح عليها الإمام عليه السلام اختيار كنية (أمّ البنين).

وروي أيضاً: أنّها كانت في غاية الأدب والأخلاق، قالت لأمر المؤمنين عليه السلام: «لا تسمّني فاطمة، لأنّ أولاد الزهراء عليها السلام يتذكّرون أمهم ويتأثّرون»، فسماها عليها السلام: أمّ البنين، نسبة إلى أحد جدّاتها.

وعُرف عنها فصاحة البيان وبلاغة اللسان، والزهد والتقوى والورع والإيمان، فكانت نعم المعاشر للإمام عليه السلام والمباشر لسرّائه وضرّائه، وكانت تتعامل مع أولاد الإمام عليه السلام معاملتها مع أولادها بعين اللطف والحنان، فعظّموها وأكرموها وأحبّوها.

وشاء الله أن تقترب أيام كربلاء، لتضاعف هذه الأمّ الصالحة عطاءها، وتزيد من وفائها، فتقف ذاك الموقف المشرف والمشرق والذي انعدم مثيله وافتقد نظيره، فتدفع أولادها الأربعة إلى ساحة الوغى إلى جانب إمامهم الحسين عليه السلام ليكونوا قرايين زاكية على ساحة كربلاء مقطّعين ومجزّرين.

والموقف الأورع والأروع حينما يدخل الناعي المدينة، وهو بشر بن حنبل ويصيح:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قُتل الحسين فأدعني مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج
والرأس منه على القناة يدار
يا أهل يثرب شيخكم وإمامكم
هل فيكم أحدٌ عليه يغار

فخرج أهل المدينة، رجالاً ونساءً ليتلقوا الخبر، ومن بينهم أمّ البنين عليها السلام خرجت لتسأل الناعي ما الخبر فأفادها بما جرى، فقالت له: «يا بشر أسألك بالله هل الحسين حي أم لا؟» فتعجّب بشر من سؤالها، فسأل بشر رجلاً واقف إلى جنبه: من هذه المرأة المفجوعة؟

فقال: هذه أمّ البنين، أمّ العباس وأخوته.
فأراد بشر أن يخبرها بشهادتهم واحداً بعد الآخر لتخفيف الألم عنها، فقال لها: عظم الله لك الأجر بولدك جعفر.

فقالت: «وهل سمعتني أسألك عن جعفر؟»

فقال لها: عظم الله لك الأجر بولدك عبدالله.

قالت: «أخبرني عن الحسين؟»

فقال: عظم الله لك الأجر بعثمان.

قالت: «أخبرني عن ولدي الحسين؟»

فقال: عظم الله لك الأجر بأبي الفضل العباس.

قالت: «ويحك لقد قطعت نياط قلبي، أخبرني عن الحسين،

أهو حي أم لا؟»

فقال لها بشر: يا أم البنين عظم الله لك الأجر بأبي عبدالله

الحسين.

فما أن سمعت بالخبر، حتّى صرخت مولولة ورجعت إلى

دار بني هاشم منادية:

ألا لا تزار الدار إلا بأهلها

على الدار من بعد الحسين سلام

فلقد هان خبر مقتل أولادها أمام مقتل الحسين بن فاطمة،

وهذا الموقف يكشف عن عمق ولائها ومودّتها لآل الرسول

ومدى وفائها للزهراء البتول.

وامتداداً لهذا الموقف نصبت عليها السلام مأتم عزاء على الحسين

وآله وجعلت هذا العزاء والمأتم صرخة فجّرت من خلاله

كيان يزيد، حيث كان واليه على المدينة آنذاك عمر بن سعيد

يكتب للطاغية ما سيّبت أم البنين له من إزعاج، وكانت

زينب عليها السلام شاطرتها بالمصاب أيضاً حتى أمر يزيد بإخراجها من المدينة فالتزمت الشام.

وكانت العقيلة زينب عليها السلام أيضاً تزور أم البنين في دارها لتشاطرها المصاب على أولادها، وهذا دليل على عظمة مقامها ورفع شأنها.

وذكر المؤرخون أن أم البنين بعد الفاجعة بفقدان الحسين عليه السلام وأولادها الأربعة، خطت خمسة قبور (من باب الرمز) في مقبرة البقيع، تبكي عليهم واستمرت لوعتها وأحزانها حتى وفاتها عليها السلام في ١٣ جمادي الثاني.

وخير ما اشتهر من أقوالها في رثائها على الحسين عليه السلام وعلى أبنائها الأبيات التالية:

لا تدعوني ويك أم البنين

تذكريني بليوث العرين

كانت بنون لي أدعى بهم

واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى

قد واصلوا الضرب بقطع الوتين

تنزع الخرصان أشلاءهم

فكلهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا

بأن عباساً قطع اليمين

وفي واقعة كربلاء وكما ينقل العلامة الدربندي: أنه أتى
زهير بن القين إلى العباس وقال: أريد أن أحدثك بحديث.
فقال العباس: حدث يا زهير فقد حلا وقت الحديث.

فقال زهير: اعلم يا أبا الفضل، أن أباك أمير المؤمنين
عليه السلام، لما أراد أن يتزوج بأمك، بعث إلى أخيه عقيل، وكان
عارفاً بأنساب العرب، فقال علي: يا عقيل اخطب لي امرأة من
ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة، أصيب منها ولداً
يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الحسين،
ليواسيه في طف كربلاء، وقد اذخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا
تقصر عن حلائل أخيك، وعن إخوانك.

فارتعد العباس من حديث زهير وتمطى في ركابه، وقال:
توصيني يا زهير بسيدي، لأنعمك عينا.

ودافع أبو الفضل العباس عن أخيه وعيالاته، مسجلاً
مواقفاً شهد بها العدو والصديق، فسلام عليك يا أبا الفضل،
وسلام على أم الشهداء، أمك أم البنين، المتوفاة على حب آل
الرسول، والمتفانية في نصره ابن البتول، فاطمة بنت حزام
الكلاية ورحمة الله وبركاته.

أمّ الخير

خطبة يوم صفين



أمّ الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية، تابعة لم تر النبي ﷺ ورأت أصحابه، ولم تكن من سكان المدينة بل كانت تسكن في الكوفة، معروفة بالذكاء والفصاحة والبلاغة والولاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حضرت معه حرب صفين، وخطبت خطبة بليغة، وهي من النساء المعروفات في صدر الإسلام، تتمتع بقوة تعبير عالية، خطيبة بليغة، وتعتبر خطيبة صفين^(١).

روى صاحب بلاغات النساء، عن عبدالله بن سعد، عن إبراهيم بن عبدالله المقدمي، عن محمد بن الفضل المكي، عن إبراهيم بن محمد الشافعي، عن خالد بن الوليد المخزومي، عن سعد بن حذاقة الجمحي، عن العباس بن بكار، عن عبيدالله بن عمر الغساني، عن الشعبي^(٢)، قال: كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد على أمّ الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية، برحلة محموددة الصحة، غير مذمومة العاقبة، واعلم أنّي مجازيك بقولها فيك بالخير خيراً وبالشر شراً.

(١) الدر المنثور، ص: ٥٧.

(٢) رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد، عن عبدالله بن عمر الغساني، عن الشعبي.

فلَمَّا ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها إيَّاه.

فَقَالَتْ: «أَمَّا أَنَا فغَيْر زَائِغَةٍ عَنْ طَاعَةٍ، وَلَا مَعْتَلَةٍ بِكَذِبٍ،
وَلَقَدْ كُنْتُ أَحَبَّ لِقَاءِهِ لِأُمُورٍ تَخْتَلِجُ فِي صَدْرِي، وَتَجْرِي بِجَرَى
النَّفْسِ، يَغْلِي بِهَا غَلِي الْمَرْجُلُ^(١) بِحُبِّ الْبُلْسُنِ^(٢) يُوقَدُ بِجَزَلٍ^(٣)،
السَّمَرُ^(٤)». .

فلَمَّا شَيَّعَهَا وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهَا قَالَ لَهَا: يَا أُمَّ الْخَيْرِ إِنَّ مَعَاوِيَةَ
قَدْ ضَمَّنَ لِي عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ قَوْلُكَ فِيَّ بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالشَّرِّ شَرًّا،
فَانْظُرِي كَيْفَ تَكُونِينَ.

قَالَتْ: «يَا هَذَا لَا يَطْمَعُكَ وَاللَّهِ بَرَكٌ بِي فِي تَزْوِيقِي الْبَاطِلِ،
وَلَا تُؤَيِّسَنَّكَ مَعْرِفَتُكَ إِيَّايَ أَنْ أَقُولَ فِيكَ غَيْرَ الْحَقِّ».

فَسَارَتْ خَيْرَ مَسِيرٍ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَنْزَلَهَا مَعَ
النِّسَاءِ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَجَمَعَ لَهَا النَّاسَ،
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَبِالرَّغْمِ وَاللَّهِ مِنْكَ دَعَوْتِي
بِهَذَا الْأَسْمِ.

فَقَالَتْ: «مَهْ يَا هَذَا، فَإِنَّ بَدِيهَةَ السُّلْطَانِ مَدْحُضَةٌ لِمَا يَحِبُّ
عَلِمَهُ».

قَالَ: صَدَقْتَ يَا خَالَةَ، أَخْبَرْنِي كَيْفَ رَأَيْتَ مَسِيرَكَ؟

(١) الْمَرْجُلُ: قَدَرٌ مِنْ نَحَاسٍ (الصَّحَاحُ ٤: ص: ١٧٠٥ باب: رَجُلٌ).

(٢) الْبُلْسُنُ بِالضَّمِّ: حَبٌّ كَالْعَدَسِ (الصَّحَاحُ ٥: ص: ٢٠٨٠ باب: بُلْسُنٌ).

(٣) الْجَزَلُ: مَا عَظُمَ مِنَ الْخَطْبِ وَيَسَّ (الصَّحَاحُ ٤: ص: ١٦٥٥ باب: جَزَلٌ).

(٤) السَّمَرُ: مِنْ شَجَرِ الطَّلَحِ (الصَّحَاحُ ٢: ص: ٦٨٩ باب: سَمَرٌ).

قالت: «لم أزل في عافية وسلامة حتّى أوفدت إلى ملك جزل وعطاء بذل، فأنا في عيش أنيق عند ملك رقيق».

فقال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم، وأعنت عليكم.

قالت: «مه يا هذا، لك والله من دحض المقال ما تردي عاقبته».

قال: ليس لهذا أردناك.

قالت: «إنّما أجري في ميدانك إذا أجريت شيئاً أجريته، فاسأل عما بدا لك».

قال معاوية: كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر؟

قالت: «لم أكن والله رويته قبل، ولا زوّرتة^(١) بعد، وإنّما كانت كلمات نفثها لساني حين الصدمة، فإن شئت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت».

قال معاوية: لا أشاء ذلك.

ثمّ التفت إلى أصحابه وقال: أيّكم يحفظ كلام أمّ الخير؟

قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد.

قال معاوية: هاته.

قال: نعم، كأنّي بها يا أمير المؤمنين وعليها برد زبيدي^(٢)

(١) زوّرتة: حسّته وقوّمته (الصحيح ٢ ص: ٦٧٤ باب: زور).

(٢) لعلّه منسوب إلى زبيد، بلدة باليمن.

كثيف الحاشية، وهي على جمل أرمك^(١)، وقد أحيط حولها حواء، ويدها سوط منتشر الظفرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته^(٢)، تقول:

«يا أيها الناس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم، إنّ الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، ونور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمّة، ولا سوداء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟

أفراراً عن أمير المؤمنين؟!

أمّ فراراً من الزحف؟!

أمّ رغبة عن الإسلام؟!

أمّ ارتداداً عن الحق؟!

أما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٣)..

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول:

«اللهمّ قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشر الرعب، ويبدك يا رب أزمنة القلوب، فاجمع اللهمّ الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحقّ إلى أهله.

أيها الناس، هلمّوا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصي

(١) الرمكة: من ألوان الإبل، يقال: جمل أرمك: هو الذي اشتدت كُمّته حتّى يدخلها سواد (الصحيح ٤ ص: ٥٨٨ باب: رمك).

(٢) شقشق الفحل شقشقة: هدر (الصحيح ٤ ص: ١٥٠٣ باب: شق).

(٣) سورة محمد آية رقم: ٣١.

الوفا، والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية،
وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة، ليدرك بها
نارات بني عبد شمس.

أيها الناس، ﴿فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهُونَ﴾^(٤)، صبراً معشر الأنصار والمهاجرين، قاتلوا على
بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني بكم غداً وقد
لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرّت من قسورة، لا تدري
أين يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا،
واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، وعمّا قليل
ليصبحنّ نادمين، حتّى تحلّ بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات
حين مناص، إنّه والله من ضلّ عن الحق وقع في الباطل، ومن
لم يسكن الجنة نزل النار.

أيها الناس، إنّ الأكياس استقصوا عمر الدنيا فرفضوها،
واستبطأوا مدّة الآخرة فسعوا لها.

والله أيها الناس، لولا أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود،
ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، لمّا اخترنا ورود
المنايا على خفض العيش وطيبه، فإلى أين تريدون رحمكم الله
عن ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأبي ابنه؟! خلق
من طينته، وتقرّع من نبعته، وخصه بسرّه، وجعله باب مدينته،
وعلم المسلمين وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك يؤيّده
الله عزّ وجلّ بمعونته، ويمضي على سنن استقامته لا يعرج

(٤) التوبة آية رقم: ١٢.

لراحة الدأب.

وها هو ذا مفلّق الهام، ومكسّر الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتّى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرّق جمع هوازن، فيا لها من وقائع، زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردّة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً.

قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»^(١).

فقال معاوية: والله يا أمّ الخير ما أردت بهذا الكلام إلاّ قتلي، والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك.

قالت: «والله ما يسؤني يا بن هند أن يُجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه».

فقال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان؟

ثمّ طرح معاوية قضية طلحة والزبير، فقالت: «وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإنّ قريشاً تحدّثت أنّك أحلمها، أن تعفيني من هذه المسائل، وامض لِمَا شئت من غيرها».

ولعلّ المقصود من ذكر هذا التفصيل هو أن:

• هذه المرأة كان لديها عمل عسكري، وعمل إعلامي

(١) أخرج الامام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادى في ص: ٤١ من كتاب بلاغات النساء بسنده إلى الشعبي، بلاغات النساء لابن أبي طيفور ص: ٣٧ ٣٨ طبع النجف.

أيضاً.

- كلامها كان مقتبساً من القرآن وسنة المعصومين عليه السلام.
- كانت مستعدة حتى الشهادة من أجل القيادة وإمامها.
- شعارها كان في حد العقل والوحي وليس في حد العاطفة والشعور.
- كلامها هذا كان مهيجاً، وكان في حضور الولي المعصوم، لأنه لم يكن يحق لشخص التكلم حين الحرب بدون إذن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإذا قيل إن الخطابة ليست جهاداً، نقول: ليس جميع المجاهدين هم في الخط الأمامي، ويحاربون مسلحين؛ بل هناك من لديه أعمال إعلامية، ومن لديه أعمال تموينية، ومن ينقلون الأسلحة، ومن يقاتلون، وفي الحروب تقسم الأعمال عادة.

وهكذا يتضح أن القرآن والعتر الطاهرين عليه السلام نجحوا في تربية شجعان وأبطال من الرجال والنساء، وتعليمهم كيف يتكلموا بالحق ويحاربون العدو به.

وقد كان معاوية يقصد باستدعائه أمثال أم الخير من شديدي الموالاة لأمير المؤمنين عليه السلام أمرين:

- الأول: تبكيتهن وإظهار الشماتة، كما يدل عليه قوله: بحق ما دعوتني بهذا الاسم، وبحسن نيتي ظفرت بكم، وغير ذلك.

- والثاني: إظهار الحلم على من لا يخاف منه ولا يخشى سطوته، ولو كان حليماً لَمَّا فعل ما فعل بعبدالله بن هاشم المرقال، وبحجر وأصحابه، وبعمرو بن الحمق، وغيرهم.

أمّ خالد

الفائزة بكسوة النبي الأكرم ﷺ



أمة بنت خالد، صحابيّة قرشيّة مكيّة، تُكنى أمّ خالد، غلبت الكنية على اسمها، أبوها خالد بن سعيد بن العاص، وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية، وأخوها سعيد بن خالد، وعمها عمرو بن سعيد بن العاص، وزوجها الزبير بن العوام. ولدت في أرض الحبشة، وفتحت عينيها على الإسلام، وكان والدها من المهاجرين إلى الحبشة حين اشتد الأذى على المؤمنين في مكة، وهناك تعلمت لغة الحبشة.

خصّها رسول الله ﷺ بهديته، فأعطاه ثياب فيها خيصة سوداء صغيرة، وقال: «من ترون أكسو هذه؟»

فسكتوا، فقال ﷺ: «اثنوني بأمّ خالد».

فجاءت فألبسها، وقال ﷺ: «أبلي وأخلقني»، قالها مرتين، ثم قال: «هذا سنّا يا أمّ خالد، هذا سنّا»، وسنّا بالحبشة: حسن. ولقد كان لدعاء النبي ﷺ أثر مبارك في حياة أمّ خالد، إذ معنى الحديث: أنّها تطول حياتها حتّى يبلى الثوب ويخلق، وقد استجيب دعوة رسول الله ﷺ فعمرت إلى قريب عام تسعين، كما ذكر الذهبي في السير^(١).

(١) صور من سير الصحابيات، لعبد الحميد السحيباني، ص: ٢٢٣.

قال الكشي حدثني محمد بن مسعود عن علي بن الحسن قال يوسف بن عمرو، وهو الذي قتل زيداً وكان على العراق، وقطع يد أم خالد، وهي امرأة صاحبة على التشيع، وكانت ترى أحقية زيد بن علي عليه السلام فيما قام به.

حدثني محمد بن مسعود عن علي بن الحسن بن فضال عن العباس بن عامر وجعفر بن محمد بن حكيم عن إبان بن عثمان الأحمري عن أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ جاءت أم خالد التي قطع يدها يوسف بن عمرو، لتستأذن عليه: فقال عليه السلام: «أيسرك أن تسمع كلامها؟» فقلت: نعم جعلت فداك.

فقال عليه السلام: «فأذن لها»، وأجلسني على الطنفسة. فلما دخلت وتكلمت فإذا هي امرأة بليغة، فسألته عن رجلين، فقال عليه السلام لها: «توليها».

قالت: «فأقول لربي إذا لقيته أنك أمرتني بولايتها؟» قال عليه السلام: «نعم».

قالت: «فإن هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بخلاف ذلك، وكثير النوا يأمرني به، فأيهما أحب إليك؟»

قال عليه السلام: «هذا والله وأصحابه أحب إلي من كثير النوا وأصحابه، إن هذا يخاصم فيقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

(١) سورة المائدة آية رقم: ٤٤.

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٢﴾.

فلما خرجت قال الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم إني إليك من كثير النوا بريء في الدنيا والآخرة».

(١) سورة المائدة آية رقم: ٤٥.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٤٧.

أمّ رعدة

ناعية الزهراء عِليها السلام في أزقة المدينة



في الإصابة عن ابن حجر، قال: رعدة - بكسر أوله وسكون المهملة - قدمت القشيرية مع زوجها أبي رعدة، وكانت امرأة بدوية ذات لسان، فكان النبي ﷺ معجباً بها^(١).

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: وفدت على النبي ﷺ امرأة يقال لها أم رعدة القشيرية، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة^(٢).

أم رعدة القشيرية عالمة، شاعرة، فصيحة اللسان، بليغة الكلام^(٣).

وفدت على رسول الله ﷺ فقالت: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، إنا ذوات الخدور، ومحل إذر البعول، ومربيّات الأولاد، وممهدات المهادر، ولا حظ لنا في الجيش الأعظم، فعلمنا شيئاً يقربنا إلى الله عزّ وجلّ».

فردّ عليها رسول الله ﷺ وقال: «عليكن بذكر الله عزّ وجلّ آناء الليل وأطراف النهار، وغضّ البصر، وخفض

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤ ص: ٤٤٩.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ ص: ٥٨٢، الحديث أخرجه أبو موسى.

(٣) رباحين التشريعة ٣ ص: ٣٩٥، أعلام النساء ص: ١٤٢.

الصوت»^(١).

قالت: «يا رسول الله، إني امرأة مقينة أقين النساء، وأزينهن لأزواجهن، فهل هو حوب فأثبط عنه؟»

فقال ﷺ لها: «يا أمّ رعدة قينيهن وزينيهن إذا كسدن»^(٢).

ثم غابت ولم تظهر إلا بعد وفاة النبي ﷺ، في أيام الخليفة الأول، ولمّا علمت بوفاة النبي ﷺ وفاة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ، حزنت حزناً شديداً، وأخذت بالحسن والحسين ﷺ، تطوف بهما أزقة المدينة وهي تبكي بكاءً مرّاً وترثي السيدة الزهراء ﷺ برثاء مؤلم منه:

يا دارَ فاطمة المعمورِ ساحتها

هيّجت لي حُزناً حيّيت من دارٍ

فهاجت المدينة مأتماً، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها ييكون، من تطوافها بالحسينين ﷺ، وخطابها الزهراء ﷺ^(٣).

وقال السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة، بعد ذكر ما قاله ابن الأثير وابن حجر، ومن تطوافها بالحسينين ﷺ، وخطابها الزهراء ﷺ بهذا الشعر: يستظهر أنّها من شرط كتابنا^(٤)، أي من المؤمنات.

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ ص: ٥٨٢.

(٢) ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة.

(٣) الإصابة لابن حجر في تمييز الصحابة ٤ ص: ٤٤٩.

(٤) أعيان الشيعة ٣ ص: ٤٧٨.

ومنه أيضاً يظهر أنها كانت عالمة شاعرة فصيحة اللسان
بليغة الكلام^(١).

(١) رياحين التشريعة ٣ ص: ٣٩٥، أعلام النساء ص: ١٤٢.

أمّ سلمة

نصيرة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَام



أمّ المؤمنين هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية^(١)، زوجة النبي ﷺ، اشتهرت بكنيتها أمّ سلمة، ولدت في مكة قبل البعثة بنحو سبعة عشر سنة، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، فلم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى جوار الله تعالى سنة ٦٢ هـ، وعمرها اثنان وتسعون سنة تقريباً. أبوها: أبو أمية سهيل بن المغيرة، يعرف بزاد الراكب لجوده وكرمه.

(١) ترجمتها موجودة في:

أسد الغابة ٥ ص: ٥٦٠، إعلام الوري ص: ١٩٧، أعلام النساء ٥ ص: ٢٢٤، أعيان الشيعة ١٠ ص: ٢٧٢ و ٤٧٩، كتاب أم سلمة لعلي دخیل، أمالي الصدوق ص: ٣١١، أمالي الطوسي ٢ ص: ١٧٤، أنساب الأشراف ١ ص: ٥٨٦، الاحتجاج ١ ص: ١٠٦، الاختصاص ص: ١١٦، الإصابة ٤ ص: ٤٢٣ و ٤٥٨، الأعلام للزركلي ٨ ص: ٩٧، الإمامة والسياسة ص: ٤٥، البداية والنهاية ج ٥ ص: ٢٩١، وج ٦ ص: ١٣١، وج ٨ ص: ١٩٩، الخصال ص: ٤١٩، العبر ١ ص: ٨٦، العقد الفريد ج ٣ ص: ١٧٨، وج ٥ ص: ٦٥، السيرة النبوية لابن كثير ٢ ص: ٢١٥، السيرة النبوية لابن هشام ص: ١١٣ و ١٤٢، الطبقات الكبرى ٨ ص: ٨٦، الكشاف ٣ ص: ٤٣٦، المستدرک علی الصحيحین ٤ ص: ١٦، المناقب لابن شهر آشوب ٣ ص: ١٣٠، بحار الأنوار ٢٢ ص: ٢٢٣، بشارة المصطفى ص: ٥٩، تأريخ بغداد ٣ ص: ١٦٤، تذكرة الخواص ص: ٧١ و ٢٤٠، تقريب التهذيب ١ ص: ٦٠٧، تهذيب التهذيب ١٢ ص: ٤٨٣، سير أعلام النبلاء ٢ ص: ١٤٨، شذرات الذهب ١ ص: ٦٩، مرآة الجنان ١ ص: ١٣٧، معاني الأخبار ص: ١٠٦، معجم رجال الحديث ٢٣ ص: ١٧٧.

أمّها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك.

زوجها الأول: عبد الله بن عبد الأسد المخزومي (أبو سلمة)،
ابن عمّة رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أسلما معاً،
وهاجرا إلى الحبشة، وولدت له ابنه سلمة هناك، ثمّ عادا إلى
مكة .

وعندما عازمت على الهجرة إلى المدينة مع زوجها وابنها
سلمة، تعرّضت لمحنة شديدة حيث منعها أهلها من الهجرة
معه، فغضب عند ذلك أهل زوجها فتجاذبوا ابنها سلمة
حتّى خلعوا يده وأخذوه منها فحيل بينها وبين ابنها وزوجها،
وبقيت في مكة قرابة السنة على هذه الحال، حتّى رق لها أهلها
وتركوها تلحق بزوجها مع ابنها إلى المدينة، وهناك أنجبت درة
وعمر ووزينب.

أصيب زوجها في غزوة أحد، وبرأ جرحه، ثمّ انتكأ مرّة
أخرى فتوفّي رضي الله عنه في الثامن من جمادى الآخرة السنة
الرابعة للهجرة.

بعد انقضاء عدّتها خطبها أبو بكر وعمر فردّتها، ثمّ خطبها
رسول الله ﷺ فقالت: «إنّني امرأة غيري، وإنّني امرأة مصيبة
(أي ذات صبيان) وليس أحد من أوليائي شاهد».

فقال ﷺ: «أمّا قولك: إنّني امرأة غيري فسادعو الله
فيذهب غيرتك، وأمّا قولك إنّني امرأة مصيبة، فسُتُكفَيْنَ
صبيانك، وأمّا قولك: ليس أحد من أوليائي شاهد، فليس
أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك».

فقالت لابنها عمرو: «قم فزوّج رسول الله ﷺ».

فزوّجه، وكان ذلك في شوال السنة الرابعة للهجرة.

وهي مهاجرة جليلة ذات رأي صائب، وعقل راجح، وكمال رصين، وجمال، وكان لها يوم الحديبية رأي صائب يدل على وفور عقلها، فعندما عقد الصلح مع مشركي مكة كان بعض المسلمين غير راضين عن بعض شروطه، فلمّا أمرهم رسول الله ﷺ بالتحلل تأخروا في الاستجابة، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فدخل على أمّ سلمة وذكر لها الأمر فقالت: «يا نبيّ الله اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتّى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك».

فقام رسول الله ﷺ ونحر وحلق، فقام أصحابه ينحرون ويحلقون.

وعرفت بالأدب والطف، مع النبي وآله ﷺ، وحالها في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ﷺ أشهر من أن يُذكر، وأجلّ من أن يمرر. وفي بيتها نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

فعن حماد بن سلمة، عن أمّ سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: «اثنين بزواجك وابنيك».

فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فديّاً، ووضع يده عليهم وقال: «اللهم إنّ هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك

على محمد وعلى آل محمد، إنك حميد مجيد».

قالت أم سلمة: «فرفعت الكساء وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟»

فقال ﷺ: «لا، ولكنك على خير، إنك إلى خير»^(١).

ولما أراد علي عليه السلام أن يسأل النبي ﷺ في الأذن له في إدخال فاطمة عليه، دخلت أم أيمن على أم سلمة فاخبرتها وأخبرت سائر نساءه بذلك فاجتمعن عنده وقلن: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله إنا قد اجتمعنا لأمر لو كانت خديجة في الأحياء لقّرت عينها.

قالت أم سلمة: «فلما ذكرنا خديجة بكى وقال: خديجة وأين مثل خديجة، وأخذ في الثناء عليها، فقالت أم سلمة من بينهن: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا، إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهناها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في جنّته، يا رسول الله: هذا أخوك وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن تدخل عليه زوجته».

قال ﷺ: «حباً وكرامة»، ثم التفت إلى النساء بعد ما دخلن البيت، وأمرهن أن يصلحن من شأن فاطمة في حجرة أم سلمة، وابتدأتهن أم سلمة بالرجز أمام فاطمة لما زفت، ومما قالت:

(١) مسند أحمد ٦ ص: ٢٩٢.

سرن بعون الله جاراتي
 واشكرنه في كلّ حالات
 واذكرن ما أنعم ربّ العلى
 من كشف مكروه وآفات
 فقد هدانا بعد كفر وقد
 أنعشنا ربّ السماوات
 وسرن مع خير نساء الورى
 تفدى بعمّات وخالات
 يا بنت من فضله ذو العلى
 بالوحي منه والرسالات^(١)

وقالت وهي ترّبي الحسين عليه السلام:

بأبي ابن علي
 أنت بالخير ملي
 كن كأسنان الجلي
 كن ككبش الحول^(٢)

عاشت حتّى شهدت مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فحزنت
 عليه حزناً شديداً، وتوفيت بعده بقليل في خلافة يزيد بن
 معاوية سنة ٦٢ هـ ودفنت بالبقيع.

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣ ص: ١٣٠.

(٢) سفينة البحار ١ ص: ٢٥٨.

وهي صاحبة قارورة تراب كربلاء الذي تحوّل دماً يوم مقتل الحسين عليه السلام، أعطاهما إياه رسول الله ﷺ وقال: «إذا تحوّل هذا التراب دماً عبيطاً فاعلمي أنّ الحسين بن فاطمة قد قُتل».

وهي كثيراً ما تصحب الرسول ﷺ في غزواته، ولقد كانت معه في غزوة خيبر، وفتح مكة، وحصار الطائف، وغزوة هوازن وثقيف، ثمّ صحبته في حجة الوداع. ومن صفاتها أنّها كانت فقيهة عارفة بغوامض الأحكام الشرعية، حتّى أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري كان يستشيرها ويرجع إلى رأيها.

وقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠ للهجرة، قال: لما أرسل معاوية بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف حتّى قدم المدينة أرسل إلى بني سلمة: والله ما لكم عندي أمان حتّى تأتوني بجابر بن عبد الله.

فانطلق جابر إلى أمّ سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ماذا ترين؟ إنّ هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أقتل؟

فقالت: «يا بني انطلق فبايع، تحقن دمك ودماء قومك، فإنّي قد أمرت ابن أخي أن يذهب فبايع، وإنّي لأعلم أنّها بيعة ضلالة».

وهي من رواة الحديث نقل لها الكثيرون من رواة الفريقين، روت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، كما روت عن فاطمة الزهراء عليها السلام، وغيرها من الصحابة والتابعين.

ومما روت أم سلمة عن رسول الله ﷺ الحديث التالي:
«علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ
الحوض».

وأم سلمة امرأة صالحة ناصحة مشفقة، لا تبتغي غير رضى
الله عز وجل، ومصلحة من تنصح، ولها مواقف عديدة نذكر
منها:

◀ ولأؤها لأمير المؤمنين ﷺ:

لمّا سار علي بن أبي طالب ﷺ إلى البصرة لحرب الجمل،
دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ يودّعها، فقالت: «سرفي
حفظ الله وفي كنفه، فوالله إنك لعلى الحق والحق معك، ولولا
أنّي أكره أن أعصي الله ورسوله - لأنه أمرنا أن نقرّ في بيوتنا -
لسرّْتُ معك، ولكن والله لأرسلنّ معك من هو أفضل عندي
وأعز عليّ من نفسي، ابني عمر»^(١).

وبسنده^(٢) عن أبي سعيد التيمي، عن أبي ثابت مولى أبي ذر
قال: كنت مع علي بن أبي طالب يوم الجمل، فلمّا رأيت
عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني
ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين، فلما فرغ
ذهبت إلى المدينة، فأُتيت أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت

(١) كتاب أعيان الشيعة، وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عمرة بنت عبد
الرحمن مثله، وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يتعقبه الذهبي في
التلخيص.

(٢) أي الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد.

أَسال طعاماً ولا شرباً، ولكنني مولى لأبي ذر.
فقلت: «مرحباً».

فقصصت عليها قصتي، فقلت: «أين كنت حين طارت
القلوب مطائرهما؟»

قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس.
فقلت: «أحسن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مع
القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».
وروى النسائي في الخصائص بسنده، عن أبي عبد الله الجدلي،
قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: «أيَسَّب رسول الله ﷺ
فيكم؟!»

قلت: سبحان الله، أو معاذ الله.
قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سَبَّ علياً فقد
سَبَّنِي، وعندكم يُسَبُّ علي ﷺ».
وأبو عبد الله الجدلي واسمه عتبة بن عبد، كان ساكناً في
الشام، ولهذا قالت له أم سلمة ذلك.

◀ موقفها مع أبي بكر:

عندما منع أبو بكر حق الزهراء ﷺ في فدك، قامت أم
سلمة في مجلس أبي بكر وقالت:
«يا أبا بكر، كيف اعتقدت أن ميراث النبي ﷺ حرام؟
وأنه لم يوص بذلك؟! مع العلم أن الله عزَّ وجلَّ أمره في القرآن
الكريم بإنذار عشيرته الأقربين.

مهلاً يا أبا بكر، فإنَّ رسول الله ﷺ مطلع على أعمالك، وسيكون خصيمك في يوم الحساب، وسترى نتيجة أفعالك»^(١).

◀ موقفها مع عائشة:

أرسلت إلى عائشة ناصحة لها لما عزمت على الخروج إلى وقعة الجمل تطلب منها لزوم بيتها، فكتبت لها في عُنف وإنكار شديد، ومما قالته لها:

«إِنَّكَ سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأُمَّتِهِ، وَحِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حَرَمَتِهِ، قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذِيْلَكَ، فَلَا تَنْدَحِيهِ، وَسَكُنِ اللَّهَ عَقِيرَتَكَ فَلَا تَصْحَرِيهَا»^(٢).

فَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مَا كُنْتَ قَائِلَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَارَضْتُكَ بِأَطْرَافِ الْجِبَالِ وَالْفُلُواتِ؟ وَلَوْ أُتِيتُ الَّذِي تُرِيدِينَ، ثُمَّ قِيلَ لِي ادْخُلِي الْجَنَّةَ، لَا سَتَحِيْتُ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَاتِكَةً حِجَاباً ضَرَبَهُ عَلِيٌّ، فَاجْعَلِيهِ سَتْرَكَ وَقَاعَةَ بَيْتِكَ حَصْنَكَ».

وذكرت كلاماً تحرَّضها فيه على عدم الخروج.

فكتبت لها عائشة تقول: ما أقبلني لو عظك، وما أعلمني بنصحك، وليس مسيري على ما تظنين، ولنعم المطلع مطلعٌ فرعتُ فيها إلى ففتان متناجزتان.

(١) قيل أنه لهذا الموقف تم إيقاف عطاء أم سلمة من بيت المال لمدة سنة كاملة.

(٢) أي صوتك لا ترفعيه.

وقالت في نهيتها لعائشة من الخروج لحرب الإمام علي عليه السلام:

نصحت ولكن ليس للنصح قابل

ولو قبلت ما عتفتها العواذل

كأنني بها قد ردّت الحرب رحلها

وليس لها إلاّ الترّجل راحل^(١)

وقالت في ترك عائشة لنصيحتها وندمها بعد ذلك:

لو أنّ معتصماً من زلّة أحد

كانت لعائشة العتبي على الناس

كم سنّة لرسول الله تاركة

وتلو آي من القرآن مدرّاس

قد ينزع الله من ناس عقولهم

حتّى يكون الذي يقضي على الناس

فيرحم الله أمّ المؤمنين لقد

كانت تبدل إيجاباً بإيناس^(٢)

وروي عن عائشة أنّها دخلت على أمّ سلمة بعد رجوعها

من وقعة الجمل، وقد كانت أمّ سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً

من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالت

عائشة: السلام عليك يا أمّ المؤمنين.

فقالت أمّ سلمة: «يا حائط، ألم أنك، ألم أقر لك؟»

(١) تذكرة الخواص ص: ٧٢.

(٢) الاختصاص ص: ١١٦.

قالت عائشة: فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، كَلِّمْنِي يَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ .

قالت: «يا حائط، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ، أَلَمْ أَنْهَكَ؟»
فَلَمْ تَكَلِّمْهَا، فَقَامَتِ عَائِشَةُ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: وَآسَفَاهُ!
عَلَى مَا فَرَطَ مِنِّي^(١) .

أمّ سليم

المجاهدة الراوية



أمّ سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية، اختلف في اسمها ف قيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، ويقال: الغميصاء أو الرميضاء^(١). وقيل إنّ اسمها محصور بين سهلة، أو رميلة أو مليكة، والباقي أوصافها، كالغميصاء والرميضاء. وكان النبي ﷺ يزورها في بيتها فتحفه بالشيء تصنعه له، ف قيل له، فقال ﷺ: «إني أرحمها، قتل أخوها وأبوها معي». ولها مواقف مشرفة، منها:

◀ إسلامها:

كانت تحت مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية فولدت له أنس بن مالك، فلما جاء الله بالإسلام، وظهرت شمسُه في الأفق واستجابت وفود من الأنصار أسلمت مع السابقين إلى الإسلام، وعرضت الإسلام على زوجها مالك بن النضر، فغضب عليها، ولم يقبل هدى الله، ولم يستطع أن يقاوم

(١) كتاب الاستيعاب.

الدعوة لأنّ المدينة صارت دار إسلام فخرج إلى الشام فهلك هناك .

والذي يظهر أنّ زوجها لم يخرج إلى الشام تاركاً وراءه زوجته وابنه الوحيد إلّا بعد أن يئس أن يثني أمّ سليم عن الإسلام .
وكان هذا موقفاً يُسجل لأمّ سليم، لأنّنا نعلم حجم تأثير الزوج في زوجته وأولاده عادة، واختيار أمّ سليم الإسلام على زوجها في ذلك الوقت المبكر ينبئ عن عزيمة أكيدة، وإيمان راسخ، ودلالة على ما تمتاز به هذه المرأة المسلمة من الثبات على المبدأ مهما كلفها من متاعب .

◀ زواجها في الإسلام:

عن ابنها أنس قال: خطب أبو طلحة أمي قبل أن يسلم فقالت: «أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرده، ولكنّك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، لا أسأل غيره» .

قال: حتّى أنظر في أمري .

فذهب وجاء وقال: أشهد أنّ لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله .

فقالت: «يا أنس زوج أبا طلحة» .

فتزوجها .

وفي رواية عند الحاكم، أنّ أبا طلحة خطب أمّ سليم قبل أن يسلم فقالت: «يا أبا طلحة، أأست تعلم أنّ إلهك الذي تعبد

نبت من الأرض؟»

قال: بلى.

قالت: «أفلا تستحي تعبد شجرة؟! إن أسلمت فإنّي لا أريد منك صداقاً غيره».

فأسلم وتزوَّجها.

◀ خدمة ابنها للنبي ﷺ :

حينما قدم النبي ﷺ جاءت أمّ سليم الأنصارية ومعها ابنها أنس، فقالت: «يا رسول الله هذا أنس يخدمك».

قال أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، ما قال لي أف، ولا لم صنعت، ولا ألا صنعت، ولا غير ذلك.

وكان أنس حينئذ ابن عشر سنين، فخدم النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتّى مات، فاشتهر أنس بخادم رسول الله ﷺ، وكان يبيت في بيت أمّه، ومع النبي ﷺ في الأوقات التي يحتاجه .

◀ صبرها ورضاها:

في صبرها ورضاها بقضاء الله وقدره، روى البخاري عن أنس بن مالك قال: اشتكى ابن لأبي طلحة فمات، وأبو طلحة خارج، فلمّا رأت امرأته أنّه مات، هيأت شيئاً ونحّته في جانب البيت، فلمّا جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟

قالت: «هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح^(١)». فظنّ أنه عوفي، فقام وأكل، وبات ليلته ولما أصبح اغتسل وأراد أن يخرج، قالت له: «احتسب ولدك».

◀ مشاركتها في الغزوات:

وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ، وقد شهدت أحداً وحينئذٍ، ولها قصص مشهورة منها ما أخرجه ابن سعد من أنها اتخذت خنجراً يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أمّ سليم معها خنجر. فقالت: «اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه».

وروت أمّ سليم عن النبي ﷺ أحاديث وكانت من عقلاء النساء، وروى عنها ابنها أنس بن مالك. توفيت في حدود الأربعين في خلافة معاوية، فرضي الله عن أمّ سليم وأرضاها.

(١) أو قالت: هو أسكن ما كان.

أمّ سنان

شاعرة معركة صفين



هي أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية، شاعرة عربية معروفة بفصاحة اللسان، والشجاعة والجرأة، ومن المواليات للأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد حضرت معه واقعة صفين، وانشدت شعراً تحرّض به الرجال على قتال أعداء الله والصبر في المعركة، ومن الذين أسهموا في رسم وتوضيح المظلمة التي سلّطت على آل البيت من الأمويين وأنصارهم^(١).

ولها قصة ظريفة مع معاوية بن أبي سفيان مذكورة في كتب التاريخ والسير، فحينما دخلت عليه سألها عن شعرها في يوم صفين، ومدحها للإمام علي عليه السلام، فلم تنكر ذلك بل قالت: «لسان نطق وقول صدق»^(٢).

وفي كتاب بلاغات النساء: عن أبي عبدالله محمد بن زكريا، حدّثنا العباس بن بكار، حدّثني عبدالله بن سليمان المدني، عن أبيه، عن سعيد بن حذاقة، ورواه ابن عبد ربّه في العقد

(١) التوحيد، عدد: ٧٩ - السنة ١٤ كانون الأول ١٩٩٥ م واقع الشعر الإسلامي بعد الخلافة الراشدة (عبد الحميد فرج الله ص: ١٦٧).

(٢) انظر: أعيان الشيعة ٣ ص: ٤٧٩، أعيان النساء ص: ٢٣٨، بلاغات النساء ص: ٦٣، العقد الفريد ١ ص: ٣٤٩.

الفريد عن سعيد بن أبي حذاقة قال: حبس مروان بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأته جدة الغلام (أم أبيه وهي أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية) فكلّمته في الغلام، فأغلظ لها مروان.

فخرجت إلى معاوية: فدخلت عليه فانتسبت، فعرفها، وقال لها: مرحبا بابنة خيثمة! ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تشميننا وتحضين علينا عدونا؟!

قالت: «يامعاوية، إنّ لبني عبدمناف أخلاقاً طاهرة، وأعلاماً ظاهرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا يتعقبون بعد عفو، فأولى الناس باتّباع سنن آبائه لأنّك أنت».

قال معاوية: صدقت، نحن كذلك، فكيف قولك:

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد

والليل يصدر بالهموم ويورد

يا آل مذحج لا مقام فشّمروا

إنّ العدو لآل أحمد يقصد

هذا علي كاهلال يحفّه وسط

السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عمّ محمّد

وكفى بذاك لمن شأنه تهدد

ما زال مذ عرف الحروب مظفراً

والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت: «كان ذلك منا، وإنا لنطمع بك خلفاً».

فقال رجل من جلسائه: كيف ذلك وهي القائلة أيضاً:

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل

بالحق تعرف هاديا مهديا

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت

فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفاً لنا

أوصى إليك بنا فكنت وفيّاً^(١)

فاليوم لا خلف نؤمل بعده

هيئات نمدح بعده إنسياً

قالت يا معاوية: «لسان نطق، وقول صدق، ولئن تحقق فيك ما ظننا فحظك أوفر، والله ما أورثك الشنأة في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادحض مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ازددت بذلك من الله تبارك وتعالى قرباً، ومن المؤمنين حباً».

قال معاوية: وإنك لتقولين ذلك؟!

قالت: «يا سبحان الله، والله ما مثلك من مدح باطل، ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا، وضمير قلوبنا، كان والله علي بن أبي طالب عليه السلام أحب إلينا منك، وأنت أحب

(١) هذا تصريح منها بقولها جهاراً بأن محمداً ﷺ أوصى لعلي عليه السلام وكان علي وفيّاً بذلك وأنه كان بعد محمد خلفاً منه.

إلينا من غيرك، إذ كنت باقيا».

قال: ممن؟

قالت: «من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص».

قال معاوية: وبما استحققت ذلك عندك؟!

قال: «بسعة حلمك، وكريم عفوك».

قال معاوية: وإنَّها ليطمعان في ذلك؟

قالت: «هما والله لك من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان».

قال: والله لقد قاربت، فما حاجتك؟

قالت: «إنَّ مروان بن الحكم تبنك بالمدينة، تبنك من لا يريد البراح منها، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابنه فأتيته فقال كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر، وألقعته أمرّ من الصبر، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة، فأتيك يا معاوية لتكون في أمري ناظراً، وعليه معديا».

قال معاوية: صدقت، لا أسألك عن ذنبه، ولا عن القيام بحجّته، اكتبوا لها بإخراج ولدها.

قالت: «وأنّي لي بالرجعة، وقد نفذ زادي، وكلّت راحلتي؟!»

فأمر لها براحلة (موطأة) وخمسة آلاف درهم^(١).

(١) العقد الفريد: ج ٢ ص: ١٠٦، وبلاغات النساء ص: ٣٢، قاموس الرجال ج ١٠ ص: ٤٤٠، ومحدثات النساء ص: ٧٦.

أمّ شريك

الواهبة نفسها للنبي الأعظم ﷺ



هي أمّ شريك، واسمها غزية^(١) بنت جابر بن حكيم، وهي من بني معيص بن عامر بن لؤي، كما يقول محمد بن عمر الواقدي، وقيل إنها دوسية من الأزد، وقيل الغفارية (نسبة لغفار).

وقيل: اسمها غزية بنت جابر من بني النجار.

وهي ممن تزوجها النبي ﷺ، عن محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم، عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: «كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، منهن أمّ شريك الأنصارية، وهبت نفسها للنبي ﷺ».

وجاء في بحار الأنوار^(٢):

والرابعة: أمّ شريك، التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت قبله عند أبي العكر بن سمي الأزدی فولدت له شريكا. وفي الاستيعاب: ذكرها أحمد بن صالح البصري في أزواج النبي ﷺ.

(١) اسمها غزية، كما في الطبقات الكبير لابن سعد، وفي الإصابة: غُزيلة بالتصغير، وقيل إنها: خولة بنت حكيم السلمی.

(٢) ج ٢٢ ص: ٢٠٢، باب: جمل أحوال أزواج النبي ﷺ.

وفي أسد الغابة، أمّ شريك الدوسية من المهاجرات ذكرها ابن منده، وفي أسد الغابة: قال ابن حبيب: إنها بايعت النبي ﷺ.

ثم قال: والذي يظهر أنّ أمّ شريك واحدة اختلف في نسبتها أنصارية أو عامرية من قريش أو أسدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاث ممكن كأن يقال: قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج بل هي نسبت أنصارية بالمعنى الأعم.

وكانت عند أبي العكر بن سمي بن الحارث الأزدي فولدت له شريكاً، وقيل كانت تحت الطفيل بن الحارث فولدت له شريكاً، والأول أشهر.

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: تزوّجها أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل فولدت له الحارث بن أنس، وأسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

وقع في قلبها الإسلام فأسلمت بمكة، وكان ذلك في بداية السابقين في الإسلام، وكانت تدعو النساء سراً بمكة، حتى انكشف سرها، فأخذوها وكادوا يقتلونها لولا قومها.

وفي حديث طويل حاصله: أنّه أسلم أبو العكر زوج أمّ شريك غزيرة بنت جابر الدوسية من الأزد، فهاجر مع دوس حين هاجروا، فجاء أهله إلى أمّ شريك فقالوا: لعلك على دينه؟ قالت: «أي والله».

فعدّبوها، يطعمونها الخبز بالعسل ولا يسقونها، ووضعوها

في الشمس وهم قائلون ثلاثة أيام.

حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وقالوا لها في اليوم الثالث: أتركي ما أنت عليه، فأشارت بإصبعها إلى السماء بالتوحيد، وما ضعفت وما استكانت.

فلما رأوا ذلك، أسلموا معها، واعتذروا إليها، ثم هاجروا جميعاً إلى رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس، قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام، وهي بمكة، فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك؟ لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا سنردك إليهم.

تقول أم شريك: «فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني، ولا يسقوني، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا وقفوني في الشمس واستظلوا، وحبسوا عني الطعام والشراب، حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع عليّ منه، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع مني، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضاً، فصنع ذلك مراراً حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي.

فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحلت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟

فقلت: لا والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا.



فقالوا: لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا، فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتهم».

وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فقبلها النبي ﷺ، فقالت إحدى زوجاته^(١): ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير.

فقالت أم شريك: «أنا تلك».

فسماها الله مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، ونزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

قالت: إن الله ليسع لك في هواك.

وجاء في تفسير^(٣):

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، للقمي أن سبب نزولها أن امرأة من الانصار أتت رسول الله ﷺ وقد تهيأت وترينت فقالت: «يا رسول الله، هل لك في حاجة، فقد وهبت نفسي لك؟»

فقالت لها عائشة: قبحك الله ما أنهمك للرجال؟

فقال لها رسول الله ﷺ: «مه يا عائشة، فإنها رغبت في رسول الله إذ زهد فيه غيرها».

ثم قال ﷺ: «رحمك الله، ورحمكم يا معشر الأنصار،

(١) روي أنها: عائشة، وروي أنها: حفصة.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٥٠.

(٣) تفسير القمي ص: ٥٣٢، الطبقات الكبير لابن سعد.

نصرني رجالكم، ورغبت في نساؤكم، ارجعي رحمك الله،
فإني أنتظر أمر الله»، فأنزل الله:

﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾.

وروى البخاري عن عائشة أنها قالت: كنت أغار من اللاتي
وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟!!

فلما نزل قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ
مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَايَتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﷻ﴾^(١)، قلت:
ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب،
عن محمد بن قيس، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فدخلت
عليه وهو في منزل حفصة، والمرأة متلبسة متمشطة، فدخلت
على رسول الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج، وأنا امرأة أيم لا
زوج لي منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجة فإن تك فقد
وهبت نفسي لك إن قبلتني.

فقال لها رسول الله ﷺ: خيراً، ودعا لها ثم قال: يا أخت
الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً فقد نصرني رجالكم
ورغبت في نساؤكم.

فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجراك وأنهمك للرجال.

(١) سورة الأحزاب آية: ٥١.



فقال لها رسول الله ﷺ: «كفي عنها يا حفصة فإنها خير منك رغبت في رسول الله فلمتها وعيبتها، ثم قال للمرأة: انصرفي رحمتك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فني وتعرضك لمحبتتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَمْرًا مُّؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، قال: فأحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله ﷺ ولا يحل ذلك لغيره»^(٢).

وأمّ شريك ممن روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، منها ما روي بالإسناد عن سعيد بن المسيب عنها:

أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغان: الحكم بن العاص وابنه مروان.

وروى عنها جابر بن عبد الله الأنصاري.

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٠.

(٢) أصول الكافي، ج ٥، ص: ٥٦٨، باب: نوادر.

اللبوة الهاشميّة

الصديقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام



هي السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،
أمها سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله.
كنيتها: «أم كلثوم» و «أم الحسن»، وأشهر ألقابها الحوراء، أم
المصائب، عقيلة الطالبين، الغريبة، العالمة غير المعلمة، عابدة
آل علي، الطاهرة.

وتلقب بالعقيلة، والعقيلة هي المرأة الكريمة على قومها
العزيزة في بيتها، النفيسة والمخدرة.

◀ سمّاها زينب:

أطلّت السيّدة زينب عليها السلام على الدنيا في الخامس من شهر
جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٣٦)
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الرَّكْعَةِ يُخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٣٧)،
وفتحت الوليدة المباركة عينيها تتطلّع إلى وجوه أكرمها ربّ
العزة عن أن تسجد لصنم قطّ، مُتسلسلة في أصلاب الطاهرين

(١) سورة النور آية رقم: ٣٦ و ٣٧.

وأرحام المطهّرات.

وحملت سيّدة نساء العالمين: فاطمة الزهراء عليها السلام وليدها إلى خير الخلق بعد رسول الله ﷺ: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام تسأله أن يختار للنسمة الطاهرة المباركة اسماً، فأبى أن يسبق رسول الله ﷺ - وكان غائباً يومذاك - في تسميتها، ولما عاد النبي ﷺ إلى المدينة، حملت الزهراء عليها السلام وليدها إلى أشرف الكائنات وخاتم الرسل ﷺ فقال: «ما كنت لأسبق ربّي»، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: «سمّها زينب»، فسماها «زينب»^(١).

◀ لماذا بكى رسول الله ﷺ في ولادة زينب؟

من غير المعهود أنّ الأب أو الجدّ إذا رُزق ولداً أو حفيداً بكى وانتحب وذرف الدموع سخاناً، فلماذا محدثنا التاريخ أن الحسين عليه السلام حمل إلى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بشارة ولادة أخته زينب، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام بكى - بأبي هو وأمّي - لما بُشّر بولادتها، فسأله الحسين عليه السلام عن علّة بكائه، فأخبره أنّ في ذلك سرّاً ستبيّنه له الأيام.

ثمّ حملت الوليدة الطاهرة إلى جدّها الحبيب محمد ﷺ، فاحتضن رسول الله ﷺ الطفلة الصغيرة وقبل وجهها، ثمّ لم يتمالك أن أرخى عينيه بالدموع.

وكان جبرئيل عليه السلام الذي هبط باسم «زينب» من ربّ

(١) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ص: ١٨.

العزّة قد أخبر حبيبه المصطفى ﷺ بأنّ هذه الوليدة ستشاهد المصائب تلو المصائب، وأنّها ستُفجّع بجدها رسول الله ﷺ، وبأمّها فاطمة سيّدة النساء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وبأبيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبأخيها الحسن المجتبي عَلَيْهِ السَّلَامُ سبط رسول الله ﷺ، ثمّ تُفجّع بمصيبةٍ أعظم وأدهى، هي مصيبة قتل أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سيّد شباب أهل الجنّة في أرض كربلاء^(١).

◀ أمّ المصائب:

تُسمّى العقيلة زينب سلام الله عليها «أمّ المصائب»، وحقّ لها أن تُسمّى بذلك، فقد شاهدت مصيبة جدها رسول الله ﷺ، ومحنة أمّها فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، ثمّ وفاتها؛ وشاهدت مقتل أبيها الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمّ شاهدت محنة أخيها الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمّ قتله بالسمّ، وشاهدت أيضاً المصيبة العظمى، وهي قتل أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته، وقتل ولداها عون ومحمّد مع خالهما أمام عينها، وحملت أسيرةً من كربلاء إلى الكوفة، وأدخلت على ابن زياد في مجلس الرجال، وقابلها بما اقتضاه لؤمُ عنصره وخسّة أصله من الكلام الخشن الموجه وإظهار الشّامة الممّضة. وحملت أسيرةً من الكوفة إلى ابن آكلة الأكباد بالشام، ورأس أخيها ورؤوس ولديها وأهل بيتها أمامها على رؤوس الرّماح طول الطريق، حتّى دخلوا دمشق على هذه الحالة، وأدخلوا على يزيد في

(١) تراجع أعلام النساء للأعلمي ج ٢ ص: ١٦٥ و١٦٦.

مجلس الرجال وهم مُقَرَّنون بالرجال^(١).

◀ ثواب البكاء على مصائب زينب عليها السلام:

روي أنّ جبرئيل عليه السلام لما أخبر النبي ﷺ بما يجري على زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام من المصائب والمحن، بكى النبي ﷺ وقال: «من بكى على مصاب هذه البنت، كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام»^(٢).

ومن الجليّ أنّ البكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام والتلهّف والتوجّع لِمَا أصابهم، يتضمّن معنى مواساتهم والوفاء لهم وأداء بعض حقوقهم التي افترضها الله تعالى في آية المودة وغيرها، فقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣)، وقد روى علماء المسلمين أنّه لما نزلت هذه الآية الكريمة قالوا: يا رسول الله، من قرأبتك الذين وَجَبَتْ علينا مودّتهم؟

فقال ﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما»^(٤).

كما يتضمّن البكاء على مصائب العترة الطاهرة انتفاءً من المؤمن الباكي إلى صفّ أهل البيت عليهم السلام، وإعلاناً منه لنفوره

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٧ ص: ١٣٧.

(٢) زينب الكبرى سيّدة الدارين - ص: ١٣٦.

(٣) سورة الشورى آية رقم: ٢٣.

(٤) رواه: أحمد في فضائل الصحابة ج ٢ ص: ٦٦٩ ح: ١١٤١، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى ص: ٢٤، وابن حجر في الصواعق ص: ١٠١، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة ص: ٢٩، والزمخشري في تفسير الكشّاف ج ٤ ص: ٢١٩ ذيل الآية، والسيوطي في تفسير الدر المنثور ج ٦ ص: ٧ ذيل الآية.

من أعداء أهل البيت عليهم السلام وقتلتهم، وإدانة منه لتلك الجرائم البشعة التي ارتكبت في حقّ العترة الطاهرة، وإعلاناً من الباكي عن استعداده للسير تحت لوائهم والانضواء في ركبهم والالتزام بنهجهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

◀ زواجها من ابن عمها عبدالله بن جعفر

كان أمير المؤمنين عليه السلام يرد الطالبين بزواجها وعندما تقدّم عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهو الكفو لعقيلة بني هاشم الذي لُقّب بـ(بحر الجود)، وافق أمير المؤمنين على زواجه منها، فتمّ الزواج الميمون، فكانت حصيلته خمسة أولاد؛ أربعة من الذكور، هم: علي، عون، محمّد وعباس، وابنة واحدة تُدعى أمّ كلثوم.

◀ عبادتها عليها السلام:

كانت السيدة زينب عليها السلام ثانية أمّها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في العبادة والتهجّد والذكر، فكانت صوّامة قوّامة، قانتة لله تعالى تائبة إليه، تقضي أكثر لياليها متهجّدة تالية للقرآن الكريم، ولم تترك كلّ ذلك حتّى في أشدّ الليالي؛ وهي ليلة الحادي عشر من محرم.

وعن الفاضل النائيني البرجردي: أنّ الحسين عليه السلام لمّا ودع أخته زينب وداعه الأخير قال لها: «يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل».

◀ احترام الإمام الحسين عليه السلام

لأخته زينب عليها السلام:

نُقل عن الإمام الحسين عليه السلام أنه كان إذا زارته السيدة زينب عليها السلام، يقوم إجلالاً لها، وكان يجلسها في مكانه^(١).

وقال السيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي: «ويكفي في جلالة قدرها ونبالة شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين عليه السلام، وكان يقرأ القرآن، فوضع القرآن وقام لها إجلالاً»^(٢).

◀ السيدة زينب عليها السلام مفسرة القرآن:

ذكر أهل السير أن العقيلة زينب عليها السلام كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن الكريم تحضره النساء، وليس هذا بمستكثر عليها، فقد نزل القرآن في بيتها، وأهل البيت أدري بالذي فيه، وخليقٌ بامرأة عاشت في ظلال أصحاب الكساء وتأدبت بأدابهم وتعلّمت من علومهم أن تحظى بهذه المنزلة السامية والمرتبة الرفيعة.

وذكر السيد نور الله الجزائري في كتاب «الخصائص الزينية» أن السيدة زينب عليها السلام كان لها مجالس في بيتها في الكوفة أيام خلافة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت تفسّر القرآن للنساء. وفي بعض الأيام كانت تفسّر ﴿كهيعص﴾ إذ دخل عليها

(١) زينب الكبرى سيّدة الدارين - ص: ١٤٢.

(٢) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ص: ٢٩.

أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: «يا قرّة عيني، سمعتكِ تفسرين **﴿كهيعص﴾** للنساء»، فقالت: «نعم».

فقال عليه السلام: «هذا رمز لمصيبة تُصيبكم عترة رسول الله ﷺ»، ثمّ شرح لها تلك المصائب، فبكت بكاءً عالياً^(١).

◀ السيّدة زينب عليها السلام المحدثّة العالمّة:

رُوي أنّ العقيلة زينب عليها السلام خطّبت في الكوفة خطبَها الغرّاء فتركت أهل الكوفة يَموجُ بعضهم في بعض، قد ردّوا أيديهم في أفواههم، حيارى ييكون وقد تمثّل لهم هولُ الجناية التي اقترفوها، فقال الإمام زين العابدين عليه السلام لعمته زينب عليها السلام: «أنتِ بحمد الله عالمةٌ غيرُ معلّمة، فهمةٌ غيرُ مُفهّمة»^(٢).

وكلام الإمام زين العابدين عليه السلام يدلّ -بما لا غبار عليه- على المنزلة العلميّة الرفيعة التي ارتقت إليها عقيلة الهاشميين عليها السلام، فهي عالمة بالعلم الدُنيّ المُفاض من قبل ربّ العزّة تعالى وليس بالعلم المتعارف الذي يُكتسب بالدرس والبحث.

وقال الشيخ المامقانيّ في (تنقيح المقال) في معرض حديثه عن السيّدة زينب عليها السلام: زينب، وما زينب! وما أدراك ما زينب!

(١) الخصائص الزينبيّة للسيد نور الدين الجزائري ص: ٦٨ و٦٩، تراجم أعلام النساء للأعلمي ج ٢ ص: ١٧٠، «زينب الكبرى سيّدة الدارين» ص: ١٤٣ و١٤٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسيّ ج ٤٥ ص: ١٦٤، سفينة البحار للمحدث القمّي ج ٣ ص: ٤٩٦.

هي عفيفة بنى هاشم، وقد حازت من الصفات الحميدة ما لم يُحْزَها بعد أمها أحد، حتّى حقّ أن يُقال: هي الصديقة الصغرى، هي في الحجاب والعفاف فريدة، لم يرَ شخصها أحدٌ من الرجال في زمان أبيها وأخويها إلى يوم الطفّ، وهي في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى وحيدة، وهي في الفصاحة والبلاغة كأنّها تُفرّغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام كما لا يخفى على من أنعم النظر في خطبتها.

ولو قلنا بعصمتها لم يكن لأحد أن يُنكر إن كان عارفاً بأحوالها في الطفّ وما بعده - كيف لا!! ولولا ذلك لَمَّا حمّلها الحسين عليه السلام مقداراً من ثقل الإمامة أيّام مرض السجّاد عليه السلام، وما أوصى إليها بجملة من وصاياه، ولما أنابها السجّاد عليه السلام نيابةً خاصّة في بيان الأحكام وجملة أخرى من آثار الولاية^(١).

◀ العفيفة تُحدّث بعهد رسول الله ﷺ:

للسيدة زينب عليها السلام مواقف عديدة في الذبّ عن إمام زمانها، فراها تستمر في مواقفها في المدافعة عن الإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، تعزيّه تارةً وتصبره، وتحافظ عليه من القتل وتفديه بنفسها تارةً أخرى، وقد نقل لنا التاريخ -من ضمن مواقفها- أنّها شاهدت حزن الإمام زين العابدين عليه السلام الشديد على أبيه

(١) تنقيح المقال للمامقاني ج ٣ ص: ٧٩ فصل النساء.

الحسين عليه السلام، فقالت له: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟»

فقال عليه السلام: «وكيف لا أجزع وأهلّع وقد أرى سيّدي وأخوتي وعمومتي ووُلد عمّي مُصرّعين بدمائهم مُرمّلين بالعرء مُسلّبين لا يُكفّنون ولا يُوارون ولا يُعرج عليهم أحد، ولا يُقرّبهم بشرّ، كأنهم أهل بيتٍ من الدّيلم والخزَر؟!»

فقالت عليها السلام: «لا يُجزّ عنك ما ترى، فوالله إنّهُ لعهْدٌ من رسول الله ﷺ إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاقاً أناس من هذه الأُمّة لا تعرفُهم فراعنة هذه الأُمّة، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضّرّجة، وينصبون بهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرُس أثره، ولا يعفو رسمه على كُرور الليالي والأعوام، وليجهدن أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً»^(١).

◀ إخبار أمير المؤمنين عليه السلام ابنته العقيلة بواقعة الطفّ:

روى الشيخ المجلسي عن السيّدة زينب عليها السلام - في حديث طويل - أنّها قالت: «لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمَ لعنه الله أبي عليه السلام، ورأيتُ أثرَ الموت منه، قلت له: يا أبه، حَدَّثْنِي أُمَ أَيْمَنَ بكذا وكذا، وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْكَ.

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص: ٥٧، وح ٤٥ ص: ١٧٩ - ١٨٠.



فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا بُنَيَّةُ، الْحَدِيثُ كَمَا حَدَّثَكَ أُمُّ أَيْمَنَ، وَكَأَنِّي
بِكَ وَبِبَنَاتِ أَهْلِكَ سَبَايَا هَذَا الْبَلَدِ أَذْلَاءَ خَاشِعِينَ تَخَافُونَ
أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ، فَصَبْرًا صَبْرًا! فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ
النَّسْمَةَ، مَا لَلَّهِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمئِذٍ وَلِيٌّ غَيْرُكُمْ وَغَيْرَ مُحِبِّكُمْ
وَشَيْعَتَكُمْ، وَلَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَخْبَرَنَا بِهَذَا
الْخَبَرِ: إِنَّ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطِيرُ فَرَحًا فَيَجُولُ الْأَرْضَ كُلَّهَا
فِي شَيْطَانِيهِ وَعَفَارِيتهِ فيقول: يَا مَعْشَرَ الشَّيَاطِينِ، قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ
ذُرِّيَةِ آدَمَ الطَّلَبَةَ، وَبَلَّغْنَا فِي هَلَاكِهِمُ الْغَايَةَ، وَأَوْرَثْنَاهُمُ النَّارَ إِلَّا
مَنْ اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ، فَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ
فِيهِمْ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى عِدَاوَتِهِمْ، وَإِغْرَائِهِمْ بِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ، حَتَّى
تَسْتَحْكَمَ ضَلَالَةُ الْخَلْقِ وَكُفْرُهُمْ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٌ، وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَهُوَ كَذُوبٌ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ عِدَاوَتِكُمْ
عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا يَضُرُّ مَعَ مُحِبَّتِكُمْ وَمَوَالَاتِكُمْ ذَنْبٌ (مَنْ) غَيْرُ
الْكَبَائِرِ»^(١).

◀ السَيِّدَةُ زَيْنَبُ عَلَيْهَا السَّلَامُ

تَنْقُلُ خُطْبَةَ أُمِّهَا الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ:

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْإِصْفَهَانِيُّ: وَالْعَقِيلَةُ هِيَ الَّتِي رَوَى ابْنُ
عَبَّاسٍ عَنْهَا كَلَامَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي فَدَكٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَقِيلَتُنَا
زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ عَلَيْهَا السَّلَامُ ^(٢).

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص: ١٨٣.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني ص: ٦٠.

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي عليه السلام قالت: قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها في معنى فدك: «لله فيكم عهدٌ قَدَمه إليكم، وبقيةٌ استخلفها فيكم: كتاب الله بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان متجليّة ظواهره، مديمٌ للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان اتباعه، ومُؤدِّ إلى النجاة أشياعه، فيه تبيانٌ حُجج الله المنيرة ومحارمه المحرّمة، وفضائله المدوّنة، وجُمّله الكافية، ورُخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، وبيّناته الجالية؛ ففرَض الإيمانَ تطهيراً من الشُّرك، والصلاةَ تنزيهاً من الكُبر، والزكاةَ زيادةً في الرزق، والصيامَ تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تسليّةً للدين، والعدلَ مَسْكاً للقلوب، والطاعةَ نظاماً للملّة، والإمامةَ لما من الفرقة، والجهادَ عزّاً للإسلام، والصبرَ مَعونةً على الاستيجاب، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعامة، وبرّ الوالدين وقايةً عن السخط، وصلة الأرحام منّةً للعَدَد، والقصاصَ حقناً للدماء، والوفاءَ للنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخسة، واجتنابَ قَذْف المُحصّنات حُجْباً عن اللعنة، واجتنابَ السرقة إيجاباً للعِفّة، ومُجانبة أكل أموال اليتامى إجارةً عن الظلم، والعدلَ في الأحكام إيناساً للرعيّة، وحرَمَ الله عزّ وجلّ الشُّركَ إخلاصاً للربوبية، فاتَّقوا الله حقَّ تُقَاتِه فيما أمَرَكم به، وانتهوا عما نهاكم عنه».

ثم ذكر الشيخ الصدوق أنّه يروي هذا الحديث بطريقتين

آخرين عن السيِّدة زينب عليها السلام ^(١).

◀ السيِّدة زينب عليها السلام

تروي قصّة ولادة أخيها الحسين عليه السلام:

روى الخزّاز القميّ بإسناده عن الإمام زين العابدين عليه السلام، عن عمّته زينب بنت عليّ عليه السلام، عن فاطمة عليها السلام، قالت: «دخل إليّ رسولُ الله ﷺ عند ولادة ابني الحسين، فناولته إياه في خِرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خِرقةً بيضاءَ فلفّه (بها)، ثم قال: خُذيه يا فاطمة، فإنّه الإمام وأبو الأئمة؛ تسعةٌ من صُلبه أئمةٌ أبرار، والتاسع قائمهم» ^(٢).

◀ العقيلة تروي عبادة أمّها الزهراء عليها السلام:

وروي عن عبدالله بن الحسن، عن أمّه فاطمة الصغرى، عن أبيها الحسين عليه السلام وعمّتها زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام أن: فاطمة عليها السلام قامت في محرابها في جُمُعَتِها، فلم تَزَلْ راکعةً ساجدةً حتّى اتّضح عمود الصبح، وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمّيهم وتُكثرُ الدعاءَ لهم ولا تدعو لنفسِها بشيءٍ، فقال لها الحسين عليه السلام: ألا تدعينَ لنفسِكِ كما تدعينَ لغيرِكِ؟ فقالت: الجارُ ثمّ الدار ^(٣).

(١) علل الشرايع ج ١ ص: ٢٤٨ ح ٣ و ٢، بحار الأنوار ج ٦ ص: ١٠٧ و ١٠٨.

(٢) كفاية الأثر للخزّاز ص: ٢٦، بحار الأنوار ج ٣٦ ص: ٣٥٠ و ٣٥١.

(٣) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقديّ ص: ٤٠.

◀ العقيلة تروي قصة دفن أبيها ﷺ:

وروي عن السيِّدة زينب عليها السلام أنها قالت: «كان آخر عهد أبي إلى أخوي عليهما السلام أنه قال لهما: يا بني، إذا أنا متُ فغسلاني ثم نشفاني بالبُرْدَةِ التي نُشِفَ بها رسول الله ﷺ وفاطمة، وحِيطاني وسَجَّياني على سريري، ثم انظُرَا حتَّى إذا ارتفعَ لكما مُقدِّمُ السرير فاحمِلا مؤخَّرَه».

قالت: «فخرجتُ أشيِّعُ جنازةَ أبي، حتَّى إذا كنَّا بظهر الكوفة وقَدِمنا بظهر الغري ركزَ المقدَّم، فوَضَعنا المؤخَّر، ثم بَرَزَ الحسنُ عليه السلام مُرتدياً بالبُرْدَةِ التي نُشِفَ بها رسول الله ﷺ وفاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام، ثم أخذَ المِعْوَلَ فَضَرَبَ ضربةً فانشَقَّ القبرُ عن ضريح، فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطران بالسريانية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا قَبْرُ حَفَرِهِ نُوْحُ النَّبِيِّ لَعْلِي وَصِيِّ مُحَمَّدٍ قَبْلَ الطُّوفَانِ بِسَبْعِمِائَةٍ عَامٍ».

ثم قالت عليها السلام: «وسمعتُ ناطقاً لنا بالتعزية وهو يقول: أَحَسَّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْعِزَاءَ فِي سَيِّدِكُمْ وَحَبَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»^(١).

◀ السيِّدة زينب عليها السلام

تروي قصة نزول طعام الجنّة:

روى عماد الدين الطوسي عن زينب بنت علي عليها السلام، قالت: «صلى رسول الله ﷺ صلاةَ الفجر ثم أقبل على أمير المؤمنين

(١) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ص: ٣٧ و٣٨.

عَلَيْهَا السَّلَامُ فقال: هل عندكم طعام؟

فقال: لم أكل منذ ثلاثة أيام طعاماً، وما تركتُ في بيتنا طعاماً.

فقال ﷺ: سرُّ بنا إلى فاطمة!

فلما دخلا على فاطمة نظرا إليها وقد أخذها الضَّعف من
الجوع وحوّلها الحَسَنان ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا فاطمة
فِدَاكِ أَبُوكِ، هل عندكِ شيء من الطعام؟

فاستَحَيَّتْ فاطمةُ أن تقول لا.. وقامت واستقبلت القبلة
لتصلي ركعتين، فأحسَّت بحسيس، فالتفتت وإذا بصُحفَة ملأى
ثريداً ولحماً، فأتت بها ووضعتها بين يدي أبيها ﷺ، فدعا
رسولُ الله ﷺ بعليّ والحسن والحسين، ونظر عليّ ﷺ إلى
فاطمة متعجباً وقال: يا بنتَ رسول الله، أنى لك هذا؟
فقالت: هو من عند الله، إنَّ الله يَرْزُقُ من يشاء بغير
حساب» (١).

◀ العقيلة زينب عَليها السَّلَامُ المتهجدة العابدة:

أشبهت عقيلةُ بني هاشم عَليها السَّلَامُ أمَّها سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء عَليها السَّلَامُ في عبادتها، فكانت تقضي ليلها بالصلاة
والتهجُّد، ولم تترك نوافلها حتَّى في أحلك الظروف وأصعبها،
فقد روي عن الإمام زين العابدين عَليها السَّلَامُ أَنَّهُ قال إِنَّ عَمَّتَه
زينب ما تَرَكْتَ نوافلها الليلية مع تلك المصائب والمحن

(١) الثاقب في المناقب لعِماد الدين الطوسي ص: ٢٩٥ و٢٩٦، زينب الكبرى ص:

النازلة بها في طريقهم إلى الشام^(١).

فلم تَقْعُدْ بها تلك المصائب الراتبة التي تَهْدُ الجبال عن أن تهجّد وتُنَاجي ربّها الكريم.

ونُقل عن ریحانة رسول الله ﷺ، الإمام الحسين عليه السلام، أنّه لما ودّع أخته زينب عليها السلام وداعه الأخير قال لها: «يا أختاه، لا تنسيني في نافلة الليل»^(٢).

وروى الجواهري في (مثير الأحران) عن فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام أنّها قالت: «... وأما عمّتي زينب فإنّها لم تَزَلْ قائمةً في تلك الليلة أي ليلة العاشر من المحرم في محرابها تستغيث إلى ربّها، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة»^(٣).

وروي عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إنّ عمّتي زينب كانت تؤدّي صلواتها من قيام - الفرائض والنوافل - عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصليّ من جلوس، فسألته عن سبب ذلك، فقالت: أصليّ من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال؛ لأنّها كانت تُقسّم ما يُصيّها من الطعام على الأطفال، لأنّ القوم كانوا يدفعون لكلّ واحد منّا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة»^(٤).

(١) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ص: ٦٢.

(٢) زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي ص: ٦٢.

(٣) مثير الأحران للجواهري؛ وعنه: زينب الكبرى للنقدي ص: ٦٢، رياحين الشريعة للمحلّات ج ٣ ص: ٦٢.

(٤) زينب الكبرى ص: ٦٢ و ٦٣.

وفي هذه الأخبار دلالة لا أوضح منها على أنَّ السيِّدة زينب عليها السلام كانت من القانتات اللائي وَقَفْنَ حركاتهنَّ وسكناتهنَّ وأنفاسهنَّ للباري تعالى، فحصلن بذلك على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التي حَكَت برفعها منازلَ المرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصلاة والسلام.

◀ العقيلة زينب عليها السلام

وصية الإمام الحسين عليه السلام:

ومن الشرف الذي لا يلحقه شرفٌ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام اتَّمن أخته العقيلة عليها السلام على أسرار الإمامة، فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده إلى أحمد بن إبراهيم، قال:

دخلتُ على حكيمة بنت محمد بن عليّ الرضا أخت أبي الحسن (عليّ الهادي) العسكري عليه السلام في سنة ٢٦٢ هـ بالمدينة، فكلَّمْتُها من وراء حجاب وسألتُها عن دينها، فسَمَّت لي مَنْ تَأْتَمُّ بهم، ثمَّ قالت: فلان ابن الحسن عليه السلام، فسَمَّته (يقصد سَمَّت الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام).

فقلتُ لها: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، مُعَايِنَةً أَوْ خَبَرًا؟

فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كَتَبَ به إلى أمِّه.

فقلتُ لها: فأين المولود؟

فقالت: مستور.

فقلت: فإلى مَنْ تَفَزَّعُ الشيعة؟

فقالت: إلى الجدَّة أمّ أبي محمد عليه السلام.

فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة؟!

فقالت: اقتداءً بالحسين بن عليٍّ عليه السلام؛ إنَّ الحسين بن عليٍّ عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن عليٍّ بن الحسين عليه السلام من علم يُنسب إلى زينب بنت عليٍّ، سترًا على عليٍّ بن الحسين عليه السلام. ثمَّ قالت: إنَّكم قومٌ أصحابُ أخبار، أما رويتم أنَّ الناس من وُلد الحسين عليه السلام يُقسَّم ميراثه وهو في الحياة؟^(١).

وروي أنَّه كانت لزينب عليها السلام نيابة خاصَّة عن الحسين عليه السلام، وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام، حتَّى برئ زينُّ العابدين عليه السلام من مرضه^(٢).

◀ دورها بعد كربلاء:

شهدت السيدة زينب عليها السلام كربلاء بكلِّ مآسيها، حيث قُتل أبنؤها وأخوتها وأقمار بني هاشم أمام عينيها، ولكنها بقيت صابرة محتسبة عند الله ما جرى، ويبرز دورها سلام الله عليها في رعايتها للنساء وللأطفال، وقد برز دورها في محطات عدَّة.

◀ خطبتها في الكوفة:

قدمت قافلة السبايا إلى الكوفة بعد مقتل الإمام

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص: ٣٦٤، زينب الكبرى ص: ٢٤.

(٢) زينب الكبرى ص: ٣٥.

الحسين عليه السلام، ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فصارت نساء الكوفة يبكين وينشدن، فسمعت السيدة زينب عليها السلام الإمام علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟!

فبدأت السيدة زينب عليها السلام خطبة بليغة نذكر منها:
 «..أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل،
 ألا فلا رقات العبرة ولا هدأت الزفرة... تدرون ويلكم أي
 كبدٍ لمحمد صلى الله عليه وآله فريتم؟!
 وأي عهدٍ نكثتم؟!
 وأي كريمةٍ له أبرزتم؟!
 وأي حرمةٍ له هتكتم؟!
 وأي دمٍ له سفكتم؟!
 لقد جئتم شيئاً إداً، تكادُ السماواتُ يتفطرُن منه، وتنشق
 الأرض، وتحتر الجبالُ هداً؟!»

◀ خطبتها في مجلس ابن زياد:

حين سأها ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟!
 فقالت عليها السلام: «ما رأيت إلا جيلاً، هؤلاء قومٌ كتب الله
 عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمعُ الله بينك وبينهم
 فتحاجون إليه وتحتصمون عنده، فانظر لمن الفلج يومئذ،
 ثكلتك أمك يا بن مرجانة!!».

وانتهى موقف السيدة زينب عليها السلام إلى فضح القتلة وتبيين

مقام شهداء كربلاء وقرابتهم من رسول الله ﷺ.

◀ تمنع الأطفال من أخذ الصدقة:

حينما دخلت قافلة السبايا إلى الكوفة كان أثر الإجهاد والإعياء والإرهاق واضحاً على الأطفال والصبية في القافلة، كما كانوا يعانون من الجوع... ولاحظت ذلك بعض نساء أهل الكوفة، فصرن يقدمن التمر والخبز إلى الأطفال والسبايا، لكن السيدة زينب عليها السلام رفضت ذلك ومنعت الأطفال عن تناول صدقات الناس قائلة: «إنَّ الصدقة حرامٌ علينا أهل البيت».

◀ السيِّدة زينب عليها السلام

المدافعة عن حريم الولاية:

أ. مع أمير المؤمنين عليه السلام:

دافعت عقيلة الهاشميين عليهم السلام عن حريم الولاية، ووقفت إلى صفِّ إمام زمانها عليه السلام تدافع عنه وتجاهد في الذبِّ عنه، فقد رُوِيَ أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما توجَّه لقتال الناكثين الذين نكثوا بيعته وألبوا عليه في البصرة، وقال في حقِّهم كلاماً جاء فيه «... والله، إنَّ طلحة والزبير ليعلمان أنَّهما مُحْطَّان وما يجهلان، ولربِّما عالم قَتَلَهُ جَهْلُهُ وعِلْمُهُ معه لا ينفعه! والله لينبَحِثَهَا كلابُ الحَوَّاب، فهل يعتبر مُعْتَبِر، أو يتفكَّر متفكِّر؟!»

ثم قال: «قد قامت الفئة الباغية، فأين المحسنون؟»^(١).

ب. مع الحسين الشهيد عليه السلام:

أمّا دفاعها عن أخيها وإمامها الحسين الشهيد عليه السلام، فقد رافقته إلى كربلاء، ووقفت إلى جانبه خلال تلك الشدائد التي يشيَّب لها الولدان، وقَدّمت ابنيها (عونا ومحمّداً) شهيدَين في طفّ كربلاء، ولم يُنقل عنها عليها السلام أنّها ندبت ابنيها بكلمة ولا ذرّفت لفقدَهما دمعَة، فقد كان هَمُّها الشاغل مواساة أخيها الحسين عليه السلام بكلّ وجودها.

وروي أنّها عليها السلام دخلت على أبي عبد الله الحسين عليه السلام في خبائه ليلة عاشوراء، فوجدته يصقلُ سيفاً له ويقول: يا دهرُ أف لك من خليل... الأبيات^(٢)، فدُعِرت وعَرِفت أنّ أختها قد يس من الحياة، وأنّه مقتول لا محالة، فصرخت نادبةً أختها وقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمي وعليّ أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضين وثمان الباقيين...^(٣).

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص: ٢٤٧، وقد أشار عليه السلام في كلامه هذا إلى الأخبار الواردة عن النبي ﷺ بأن أمير المؤمنين عليه السلام سيقاقل الناكثين والقاسطين والمارقين، وبأنّه عليه السلام سيقاقل الفئة الباغية، وبأنّ طلحة والزبير سيقاتلان عليّاً عليه السلام وهما ظالمان له، وأنّ عائشة ستخرج في حربه فتنبهها كلاب الحوآب؛ والحوآب منطقة قرب البصرة.

(٢) كان يردد قول الشاعر:

يا دهرُ أف لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلٍ والدَّهرُ لا يَقتنعُ بالبديلِ
وإنَّما الأمرُ إلى الجليلِ وكُلُّ حيٍّ سالكُ السَّيلِ

(٣) تاريخ أبي مخنف ج ١ ص: ٤٥٧.

وروي أنّ عليّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام لمّا برز إلى القوم وقاتل حتّى استشهد، جاء إليه الحسين عليه السلام وهو يقول: «قَتَلَ اللهُ قوماً قتلوك، ما أجراًهُمْ على الرحمن وعلى رسوله وعلى انتهاكِ حُرمةِ الرسول، على الدنيا بَعْدَكَ العَفَا». قال الراوي: فكأنّي أنظر إلى امرأةٍ مسرعةٍ تنادي بالويل والشبور وتقول: «يا حبيباه! يا ثمرةَ فؤاداه! يا نورَ عيناه!» فسألتُ عنها فقيل: هي زينب بنت عليّ عليه السلام، فجاءت وانكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها ورَدَّها إلى الفسْطاط^(١).

وروي أصحابُ المقاتل أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما هوى من ظهر جواده وقد أثخنه الجراح، دون أن يُضعِف ذلك من عزمه أو يُفِتّ في عَصْده، حتّى قال عنه أحدُ الذين قاتلوه: فوالله ما رأيتُ مكسوراً (مكثوراً) قطُّ قد قُتِلَ ولَدُه وأهلُ بيته وأصحابُه، أربطَ جاشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجراً مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالُ لتَنكشِفُ عن يمينه انكشافَ المعزى إذا شَدَّ فيها الذئب.

قال: فوالله إنّه كذلك إذ خرجت زينبُ ابنةُ فاطمة أخته... وهي تقول: «لَيْتَ السَّماءَ تَطابَقَتْ على الأرض!» ثم خاطبت عمر بن سعد وقد دنا من الحسين، فقالت: «يا عمر بن سعد! أَيَقْتُلُ أبو عبدالله وأنتَ تَنظرُ إليه؟!»

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص: ٤٣ و ٤٤.

فصرف عمر بن سعد وجهه عنها^(١).

وروى المجلسي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما طعن في خاصرته فسقط عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن، خرجت زينب من الفسطاط وهي تنادي: «وا أخاه واسيداه وا أهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، ولت الجبال تدكدكت على السهل»^(٢).

وروي أنّ جيش عمر بن سعد أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر حافيات باكيات، وقلن: بحق الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين.

قال الراوي: فوالله لا أنسى زينب بنت علي عليها السلام وهي تندب الحسين وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: «وا محمداه! صلّ عليك ملك السماء، هذا حسين مرمّل بالدماء، مُقَطَّع الأعضاء، وبَنَاتُكَ سبايا، إلى الله المشتكى... وا محمداه هذا حسين بالعراء، يسفي عليه الصبا، قتل أولاد البغايا، يا حزنه يا كرباه! اليوم مات جدّي رسول الله، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذريّة المصطفى يساقون سوق السبايا!»^(٣).

ج. مع الإمام زين العابدين عليه السلام:

تولّت عقيلة بني هاشم عليهم السلام تمريض الإمام زين العابدين عليه السلام ورعايته والمحافظة عليه في كربلاء والكوفة

(١) تاريخ أبي مخنف ج ١ ص: ٤٩٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٥ ص: ٥٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص: ٥٩.

والشام، وكان من المواقف التي خلدها لها التاريخ في دفاعها عن إمام زمانها الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، موقف في مجلس ابن زياد في الكوفة؛ فقد خاطبها ابن زياد فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أُحدوثكم!

فقال عليه السلام: «إنما يُفتَضَحُ الفاسقُ ويُكذَّبُ الفاجرُ، وهو غيرنا يا عدو الله».

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟
فقال عليه السلام: «ما رأيتُ إلاَّ جميلاً، هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتلَ فَبَرَزُوا إلى مَضاجعهم، وسيجمعُ الله بينك وبينهم فُتُحاجَّ وتُخاصم، فانظُرْ لِمَن الفلج يومئذٍ ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يا بنَ مَرَجانة!». .

ثم التفتَ ابنُ زياد إلى علي بن الحسين فقال: مَنْ هذا؟
فقال: علي بن الحسين.
فقال: أليس قد قتلَ الله علي بن الحسين؟!
فقال علي عليه السلام: «قد كان لي أخ يُسمَّى علي بن الحسين قتله الناس».

فقال ابن زياد: بل الله قتله!
فقال علي عليه السلام: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا»

فقال ابن زياد: ولك جرأة على جوابي؟! اذهبوا به فاضربوا

عُنُقَهُ !

فَسَمِعَتْ عَمَّتُهُ زَيْنَبُ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «يَا بَنَ زِيَاد، إِنَّكَ لَمْ تُبْقِ
مِنَّا أَحَدًا، فَإِنْ عَزَمْتَ عَلَى قَتْلِهِ فاقْتُلْنِي مَعَهُ»^(١).

◀ خطبتها في الشام:

روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج: قال: روى شيخٌ
صدوقٌ من بني هاشم وغيره من الناس، أنه: لَمَّا دَخَلَ عَلَى
بَنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَرَمَهُ عَلَى يَزِيدَ -لَعَنَهُ اللَّهُ- وَجِيءَ بِرَأْسِ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ ثَنِيَاهُ
بِمَخْصَرَةٍ^(٢) كَانَتْ فِي يَدِهِ.

فلما رأت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ذلك، فأهوت إلى جيبها فشقته. ثم
نادت بصوت حزين تقرع القلوب:

«يا حسينا!»

يا حبيب رسول الله!

يا بن مكة ومنى!

يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء!

يا بن محمد المصطفى!»

قال: فأبكت والله كل من كان. ويزيد ساكت!

ثم قامت على قدميها. وأشرفت على المجلس. وشرعت في

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص: ١١٦ و ١١٧.

(٢) المختصر: بكسر الميم وسكون المعجمة: كالسوط أو كل ما أمسكه الإنسان
بيده من عصا ونحوها.

الخطبة فقالت:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة على جدي سيد المرسلين.

صدق الله سبحانه كذلك يقول:

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١).

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقنا
علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إيسار، نساق إليك سوقاً
في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أن بنا من الله هواناً، وعلينا
منه كرامة وامتناناً. وأن ذلك لعظم خطرنا، وجلالة قدرنا،
فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك^(٢)
فرحاً، وتنفض مذكرويك^(٣) مرحاً، حين رأيت الدنيا لك
مستوسقة^(٤). والأمور لديك متسقة، وحين صفالك مملكتنا،
وخلص لك سلطاننا!

فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً!

أنسيت قول الله عز وجل:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ لَكُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُفْلِي لَهُمْ لِيُذَادُوا إِنَّمَا لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٥)

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

(٢) أصدريه: منكبيه، والأصدان: عرفان يضربان تحت الصدغين، لا يفرد لها
واحد، وجاء يضرب أصدريه إذا جاء فارغاً.

(٣) المذروان: جانبا الإليتين، وجاء فلان ينفض مذكرويه: إذا جاء باغياً يتهدد.

(٤) استوسق: استوسق لك الأمر إذا أمكنك، واستوسقت: اجتمعت وانضمت.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

أَمِنْ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الْطَلْقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِكَ وَإِمَاءَكَ، وَسَوْقَكَ
بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا؟! قَدْ هَتَكَتَ سَتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتَ
وُجُوهَهُنَّ، يَحْدُوا بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ
أَهْلُ الْمَنَاقِلِ^(١)، وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ الْمَنَاهِلِ، وَيَتَصَفَّحْنَ وَجُوهَهُنَّ
الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَالْغَائِبَ وَالشَّهِيدَ، وَالشَّرِيفَ وَالْوَضِيعَ،
وَالدُّنْيَ وَالرَّفِيعَ لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رَجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ مُهَاتِمِهِنَّ
حَمِيٌّ، عَتَوْا^(٢) مِنْكَ عَلَى اللَّهِ، وَجَحُوداً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَدَفْعاً لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَلَا غَرُوا^(٣) مِنْكَ، وَلَا عَجَبَ مِنْ فَعْلِكَ، وَأَنْتَى يُرْتَجَى الْخَيْرُ
مِنْ لَفْظِ فَوَهْ أَكْبَادِ الشَّهْدَاءِ، وَنَبَتْ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ السَّعْدَاءِ.
وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَمَعَ الْأَحْزَابَ، وَشَهَرَ الْحَرَابَ،
وَهَزَّ السِّيُوفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
أَشَدَّ الْعَرَبِ لِلَّهِ جَحُوداً، وَأَنْكَرَهُمْ لَهُ رَسُولاً، وَأَظْهَرَهُمْ لَهُ
عَدَوَاناً، وَأَعْتَاهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْراً وَطُغْيَاناً.
أَلَا إِنَّهَا نَتِيجَةُ خِلَالِ الْكُفْرِ، وَضَبٍ^(٤) يُجْرِجِرُ^(٥) فِي الصَّدْرِ
لِقَتْلِ يَوْمِ بَدْرٍ.

(١) المنقلة: المنزل من مراحل السفر، والمنقل: المراحل، والمنقل: الطريق في الجبل.

(٢) عتوا: أي تكبراً وتجبراً.

(٣) الغرو: العجب، ولا غرو: أي ليس بعجب.

(٤) الضب: دابة برية.

(٥) الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرتة. وقوله في الخبر «يجرجر في بطنه نار جهنم» أي يلقي في بطنه، يقال: جرجر فلان من الماء في حلقه: إذا تجرعه جرعاً متتابعاً له صوت، وجررت الحبل جراً: سحبه.

فلا يستبطى في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً^(١) وشناناً^(٢) وإحنأً^(٣) وأظغانأً، يظهر كفره برسول الله ﷺ، ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول فرحاً بقتل ولده، وسبي ذريته، غير متحوب^(٤) ولا مستعظم، يهتف بأشياخه:
لأهلوا واستهلوا فرح

ولقالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنيا أبي عبد الله - وكان مقبل^(٥) رسول الله ﷺ ينكتها^(٦) بمخصرته، قد التمع السرور بوجهه.
لعمري! لقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة^(٧)، بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب الدين والعرب، وشمس آل عبد المطلب.

وهتفت بأشياخك، وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك. ثم صرخت بنداك - ولعمري - لقد ناديتهم لو شهدوك! ووشيكاً تشهدهم، ولم يشهدوك، ولتودّ يمينك - كما زعمت - شلت بك عن مرفقها وجذت^(٨)، وأحييت أمك لم تحملك،

(١) الشنف، بالتحريك: شدة البغض والتنكر.

(٢) الشنان: البغض مع الكراهة والتجنب.

(٣) الإحن جمع الإحنة بكسر الفاء: وهي الضغائن، يقال: في صدره علي إحنة أي حقد. وأحن الرجل: حقد وأظهر العداوة.

(٤) التحوب التأثم من الشيء، يقال: يتحوب من كذا أي يتأثم.

(٥) مقبل: موضع القبلة

(٦) النكت: قرعك الأرض بعود أو بقضيب، فتؤثر بطرفه فيها.

(٧) شأفة الرجل أهله وماله، والشأفة: الأصل، واستأصل شأفته: أي أصله.

(٨) الجذ: كسر الشيء الصلب، والقطع السريع المستأصل.

وإيّاك لم تلد، أو حين تصير إلى سخط الله، ومخاصمك رسول الله ﷺ.

اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلّ غضبك على من سفك دماءنا ونقض دمارنا^(١)، وقتل همتنا، وهتك عنا سدولنا.

وفعلت فعلتك التي فعلت، وما فريت إلا جلدك، وما جززت إلا لحمك.

وسترد على رسول الله ﷺ بما تحملت من دم ذريته، وانتهكت من حرمة، وسفكت من دماء عترته ولحمته، حيث يجمع به شملهم، ويلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم.

فلا يستفرنك الفرخ بقتلهم. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله^(٢) وحسبك بالله ولياً وحاكماً، وبرسول الله ﷺ خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من بؤاك ومكنك من رقاب المسلمين أن ﴿بُئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٣) وأيكم شرّ مكاناً وأضلّ سبيلاً.

وما استصغاري قدرك، ولا استعظامي تقريعتك توهماً

(١) الذمار: هو كلّ ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم. والذمار الحرم والأهل.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧٠.

(٣) سورة الكف، الآية ٥٠.

لانتجاع^(١) الخطاب فيك بعد أن تركت عيون المسلمين به
عبري، وصدورهم عند ذكره حرى، فتلك قلوب قاسية،
ونفوس طاغية، وأجسام محسوة بسخط الله ولعنة الرسول، قد
عشش فيه الشيطان، وفرخ، ومن هناك مثلك ما درج ونهض.
فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء،
وسليل الأوصياء، بأيدي الطلقاء الخبيثة. ونسل العهرة
الفجرة، تنطف^(٢) أكفهم من دماننا وتحلب^(٣) أفواهم من
لحومنا، تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية^(٤)، تتابها
العواسل^(٥) وتعقرها أمهات الفراعل^(٦).

فلن اتخذنا مغم لتجد بنا وشيكاً مغماً حين لا تجد إلا ما
قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى والمعوّل،
وإليه الملجأ والمؤمل.

ثم كد كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرفنا بالوحي
والكتاب والنبوة والانتجاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا،
ولا تمحو ذكرنا، ولا يرخص^(٧) عنك عارنا. وهل رأيك إلا
فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المنادي: ألا

(١) نجع فيه القول والخطاب والوعظ: عمل فيه ودخل وأثر.

(٢) تنطف أي تقطر، وينطف إذا قطر قليلاً قليلاً.

(٣) الحلب: استخراج ما في الضرع من اللبن، وتحلب العرق وانحلب: سال،
وتحلب بدنه عرقاً: سال عرقه.

(٤) الضاحية: البارزة للشمس الظاهرة لها.

(٥) العاسل: الذئب، والجمع العسل والعواسل.

(٦) الفرعل: ولد الضبع، وقيل: هو ولد الوبر من ابن آوى، والجمع فراعل.

(٧) الرخص: الغسل، أي لا يغسل عنك.

لَعَنَ اللَّهُ الظَّالِمَ الْعَادِي.

والحمد لله الذي حَكَمَ لأوليائه بالسعادة، وخَتَمَ لأصفيائه
بالشهادة، ببلوغ الإرادة، ونقلَهُم إلى الرحمة والرفاة، والرضوان
والمغفرة، ولم يَشَقْ بهم غيرُك، ولا ابتلى بهم سواك.

ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويَجْزِلَهُم الثوابَ والذخر،
ونسأله حسنَ الخلافة، وجميلَ الإنابة، إنه رحيمٌ ودودٌ.

وقد تطرَّقنا إلى خطبتي عقيلة بني هاشم عليها السلام في الكوفة
وفي الشام، اللتين أبانت بهما حقيقة النهضة الحسينية، وفضحت
مكر بني أمية ومحاولتهم تصوير الإمام الحسين عليه السلام بأنه
خارجي خرج على خليفة زمانه، فكانت كلمات العقيلة عليها السلام
استمراراً للنهضة أخيها الشهيد عليه السلام، وكان ثباتها وصمودها
وصبرها الشُّورَ الحصين الذي صان مُعطيات الثورة الحسينية
المباركة، والترجمانَ الصادق الذي نقل للأجيال تفاصيل تلك
النهضة الظافرة.

◀ وفاتها:

توفيت السيدة زينب عليها السلام في ١٥ رجب في دمشق الشام
سنة ٦٢ هـ على أصح الأقوال، ودُفنت في ضواحي دمشق في
قرية يقال لها راوية، ولها مزار يناسب جلالتها وعظمتها،
وهناك قول إنها دُفنت في مصر، ولها هناك أيضاً مقام يؤمه
الناس ويتبركون به، ويسألون الله حوائجهم فتقضى.

فسلام الله عليك يا عقيلة الهاشميين يوم وُلدت، ويوم

التَّحَقَّتْ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَيَوْمَ تُبْعَثِينَ حَيَّةً، فَيُوفِّيكَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى جَزَاءَكَ بِالْكَأْسِ الْأَوْفَى مَعَ جَدِّكَ الْمُصْطَفَى، وَأَيُّكَ
عَلِيَّ الْمُرْتَضَى، وَأُمِّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ، وَأَخِيكَ الْحَسَنَ الْمُجْتَبَى،
وَأَخِيكَ الشَّهِيدَ بِكَرْبَلَاءَ.

زينب الصغرى

أخت الحسين الشهيد عليه السلام وناصرته



أُمُّ كُلْثُوم بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ،
وابنة فاطمة الزهراء الصديقة الكبرى ﷺ، وحفيدة النبي
المصطفى ﷺ وكذا حفيدة أبي طالب سيّد البطحاء ناصر
الرسالة والرسول ﷺ، وحفيدة خديجة أمّ المؤمنين، وفاطمة
بنت أسد أمّ أمير المؤمنين، عليهم سلام الله أجمعين.

وهي زوجة مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورد في عمدة
الطالب: محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب،
أمّه حميدة بنت مسلم بن عقيل، أمّها أمّ كُلْثُوم بنت علي بن أبي
طالب .. انتهى.

فهذا يدلّ على أنّ مسلماً كان متزوجاً بأمّ كُلْثُوم بنت عمه
علي بن أبي طالب وولدت له منها بنت اسمها حميدة وحميدة
هذه تزوجها ابن عمها عبدالله بن محمد بن عقيل وولدت له
محمد بن عبدالله بن محمد عقيل.

أبوها: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ

أمّها: فاطمة الزهراء ﷺ بنت رسول الله ﷺ

كانت من فواضل نساء عصرها، ذات زهدٍ وعبادة،
وشجاعة وبلاغة، وكانت فهيمَةً فصيحة، جليلة القدر عظيمة

المنزلة عند أهل البيت النبوي ﷺ.

◀ دفاعها عن أمير المؤمنين ﷺ.

لما سارت عائشة إلى البصرة معلنة الحرب على الإمام عليٍّ ﷺ، هي وطلحة والزبير وغيرهم ممن كانوا بايعوه يوم الغدير، سار إليهم الإمام لقطع دابر الفتنة فنزل في ذي قار، عندها كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر كتاباً تخبرها بذلك وتُسَرُّها بالنصر المزعوم!

يروى ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) قائلاً: كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر: أمّا بعد، فإنّي أخبركِ أنّ عليّاً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عُدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدّم عُقر، وإن تأخّر نُحر!

فدعت حفصةً جوارِي لها يتغنّين ويضربن بالدفوف، فأمرتهنّ أن يقرّرن في غنائهنّ: ما الخبر ما الخبر! عليٌّ في السفر، كالأشقر، إن تقدّم عُقر، وإن تأخّر نُحر!

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ أمّ كلثوم بنت عليٍّ ذلك، فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوة متنكرات، ثمّ أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت.

فقالت أمّ كلثوم: «لئن ظاهرْتُما^(٢) عليه منذ اليوم، لقد

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ١٤

(٢) أي أنت وعائشة

تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل» (أي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(١)).

فقال حفصة لأُمّ كلثوم: كفى رحمك الله. وأمرت بالكتاب فمزق.

ويستمر ابن أبي الحديد في هذا الموضوع موثقاً إياه بقوله: قال أبو مخنف (المؤرخ المعروف): روى هذا جرير بن يزيد عن الحكم، ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري، وذكر الواقدي مثل ذلك، وذكر المدائني مثله، قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك:

عَذَرْنَا الرِّجَالَ بِحَرْبِ الرِّجَالِ

فَمَا لِلنِّسَاءِ وَمَا لِلسَّبَابِ!

أَمَّا حَسْبُنَا مَا أَتَيْنَاهُ

لَكَ الْخَيْرُ فِي هَذَا الْحِجَابِ!

وَمَخْرَجُهَا الْيَوْمَ مِنْ بَيْتِهَا

يَعْرِفُهَا الذُّبُّ نَبْحَ الْكَلَابِ!

إِلَى أَنْ أَتَانَا كِتَابٌ لَهَا

مَشُومٌ، فَيَا قُبْحَ ذَاكَ الْكِتَابِ!

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي: أنه لما ضرب أمير

(١) سورة التحريم، الآية ٤.

المؤمنين عليه السلام احتمل فادخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه، وجلست أم كلثوم عند رجله، ففتح عينيه فنظر إليهما، وقال: «الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلاً».

وقال المفيد: فنادت أم كلثوم عبد الرحمن بن ملجم:

«يا عدو الله، قتلت أمير المؤمنين».

قال: إنما قتلت أباك.

قالت: «يا عدو الله، إنني لأرجو أن لا يكون عليه بأس».

قال لها: فأراك إنما تبكين عليه، والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

◀ دورها في كربلاء.

وحضرت واقعة الطف مع أخيها الحسين عليه السلام، وأدت دورها التبليغي بكل جرأة واقتدار، ومن أخبارها في ذلك اليوم:

لَمَّا أوصاهن الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر بدأ بأم كلثوم، حيث قال: «يا أختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، ويا سكينه، ويا فلانه، ويا فلانه، انظرن إذا أنا قُلت، فلا تشقن عليّ جيّاً، ولا تخمشن عليّ وجهاً، ولا تقلن هجراً».

وروى ابن طاوس في كتاب الملهوف وغيره أنه لَمَّا جلس الحسين عليه السلام يوم الطف وجون مولى أبي ذر يصلح سيفه والحسين يقول:

يا دهر أف لك من خليل
 كم لك بالإشراق والأصيل
 من صاحبٍ وطالبٍ قتيل
 والـدهر لا يقنع بالبديل
 وإنما الأمر إلى الجليل
 وكلّ حيّ سالك سبيل
 جعلت أمّ كلثوم تنادي: «وا محمداه، وا علياه، وا أمّاه،
 وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبدالله».

فعرّاهها الحسين عليه السلام وقال لها: «يا أختاه تعزّي بعزاء الله،
 فإنّ سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون،
 وجميع البرية يهلكون».

وروى ابن طاوس أيضاً: أنّه لمّا قرب الذين معهم السبايا
 والرؤوس من دمشق، دنت أمّ كلثوم من شمر وكان في جملتهم
 فقالت له: «لي إليك حاجة؟»
 فقال: وما حاجتك؟

قالت: «إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة،
 وأؤمرهم أن يُخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، وينحّونا
 عنها، فقد خزيّنا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال».

فأمر اللعين في جواب سؤالها أن يجعلوا الرؤوس على الرماح
 في أوساط المحامل، بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظارة،
 على تلك الصفة، حتّى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج

باب المسجد الجامع حيث يقام السبي .

وحينما خطبت في الكوفة خطبتها المشهورة التي أدت إلى
توعية الناس وتعريفهم بأن الذين أمامهم هم آل الرسول
ﷺ وحرمة و ليسوا خوارج كما يدّعي يزيد لعنة الله عليه .
خطبت خطبة بليغة بالكوفة بعد ورودها من كربلاء، ذكرها
ابن طائوس في كتاب الملهوف، وذكرت في لواعج الأشجان
والمجالس السنية برواية ابن طائوس، وهي مذكورة في كتاب
بلاغات النساء، قال :

أخبرنا يحيى بن الحجاج عن جعفر بن محمد عن
آبائه عليه السلام قال : ورأيت أمّ كلثوم عليها السلام ولم أر خفرة والله أنطق
منها كأنها تنطق وتفرغ على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد
أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فلما سكنت الأنفاس، وهدأت
قالت :

«أبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على نبيّه، أمّا بعد..

يا أهل الكوفة..

سَوَاءٌ لَكُمْ، مَا لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْنًا وَقَتَلْتُمُوهُ، وَانْتَهَبْتُمْ أَمْوَالَهُ
وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ نِسَاءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ ؟! فِتْبًا لَكُمْ وَسُحْقًا!

وَيْلَكُمْ! أَنْدَرُونَ أَيُّ دَوَاهٍ دَهَتْكُمْ، وَأَيُّ وَزَرٍ عَلَى ظُهُورِكُمْ
حَمَلْتُمْ، وَأَيُّ دِمَاءٍ سَفِكْتُمُوهَا، وَأَيُّ كَرِيمَةٍ أَصَبْتُمُوهَا، وَأَيُّ
صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوهَا، وَأَيُّ أَمْوَالٍ انْتَهَبْتُمُوهَا ؟! قَتَلْتُمْ خَيْرَ رَجَالَاتٍ
بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَزَعْتَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِكُمْ، أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ، وَحِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

ثم قالت رضوان الله عليها:
 قتلتم أخي ظلماً فويل لأئمتكم
 ستجزون ناراً حرها يتوقد
 قتلتم أخي ثم استباحتم حريمه
 وأنهبتم الأموال والله يشهد
 سفكتم دماء حرم الله سفكها
 وحرّمها القرآن ثم محمّد
 سفكتم دماء آل النبي وسفكها
 محرّمه ربّ العباد وأحمد
 وأبرزتم النسوان بالذلّ حسراً
 وبالقتل للأطفال والذبح تقصد
 عزيز على جدي عزيز على أبي
 عزيز على أُمّي ومن لي يسعد
 فيا لهف نفسي لشهيد بغربة
 ويا حسرتاه للأسير يقيد
 ويا ريح لي والويل حلّ بوالدي
 كما رأسه فوق السنان يشيد
 ألا فأبشروا بالنار إنكم غداً
 لفي سقر حقاً يقيناً تخلصوا

وإنّي لأبكي في حياتي على أخي

على خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهل مكفكف

على الخدميّ دائماً ليس يجمد^(١)

فضج الناس بالبكاء والنوح، ونشر النساء شعورهن،
ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، ولطمن
خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، فلم ير
باكية وباك أكثر من ذلك اليوم.

◀ مواقف عظيمة

ومما سجل لها التاريخ من المواقف العظيمة:

١/ روى السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتابه^(٢): وعند
وداع الإمام الحسين عليه السلام للعائلة قُبيل بروزه إلى ساحة القتال
في صحراء كربلاء بمفرده، جاءت أمّ كلثوم وجعلت تنادي:
«وأحمده، وأعليّاه، وأُمّاه، وأخاه، وأحسيناه! واضيَعَتْنَا بعدك
يا أبا عبدالله!»

فعزّاهَا الحسين عليه السلام وقال لها: «يا أختاه، تعزّي بعزاء الله؛
فإنّ سكّان السماوات يَفْنُونَ، وأهل الأرض كلّهم يموتون،
وجميع البريّة يهلكون».

ثمّ قال: «يا أختاه يا أمّ كلثوم، وأنتِ يا زينبِ وأنتِ

(١) اللهوف ص: ٦٦.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف ص: ٣٢.

يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قُتِلْتُ فلا تشقُقن عليَّ جيباً، ولا تخمِشن عليَّ وجهاً، ولا تقلن هُجِراً».

٢/ وبعد مصرع سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه، أقبل فرسه إلى الخيام، فوضعت أمّ كلثوم يدها على أمّ رأسها ونادت: «والمحمّداه، وأجدّاه، وأبتاه، وأبا القاسماه، واعليّاه، واجعفراه، واحمزنه، واحسنه! هذا حسين صريعٌ بكر بلاء...» ثم غشي عليها^(١).

٣/ وعند دخول السبايا مدينة الكوفة بتلك الحالة المزرية، كانت أمّ كلثوم تنظر إلى ذلك وقد اشتدّ بها الوجد وأمضّ بها المصاب، وزاد في وجدها أن ترى أهل الكوفة يناولون الأطفال وهم على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فنادت بهم: «يا أهل الكوفة، إنّ الصدقة علينا حرام». ثم أخذت تجمع ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض.

٤/ وعند عودة السبايا، ما أن لاحت لأمّ كلثوم جدران المدينة حتّى انفجرت باكية وهي تقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا

فبالحسرات والأحزان جينا

ألا فاجبر رسول الله عثنا

بأنّا قد فُجعنا في أخينا^(٢)

(١) روى ذلك الخوارزمي الحنفي في كتابه: مقتل الحسين عليه السلام ج ٢ ص: ٣٧.

(٢) المنتخب للطريحي ص: ٤٩٩.

وقد نسب الطريحي في منتخبه قصيدة تتكوّن من ثمانية وأربعين بيتاً إلى أمّ كلثوم الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام، ومطلع هذه القصيدة البيتان المذكوران، ونقل ذلك عنه الحاج علي دخیل في كتابه : «أمّ كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليها السلام» .

والظاهر أنّ البيتين الأولين من هذه القصيدة لأمّ كلثوم، والباقي لأحد الشعراء، والله العالم.

نسيئة

المجاهدة مع رسول الله ﷺ في غزواته



جاء في الاستيعاب: هي أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبة بنت الحارث، وقال يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، أنّها: نسيبة بنت كعب، وفيه نظر، لأنّ نسيبة بنت كعب كنيها أم عمارة وليست أم عطية.

هي من طليعة نساء المدينة اللواتي سارعن إلى الإسلام، فقد كانت إحدى امرأتين رحلتا مع طلّاع الأنصار إلى مكة حيث كانت المبايعة لرسول الله ﷺ، في بيعة الرضوان (بيعة المعاهدة على الشهادة في سبيل الله).

وهي واحدة من النساء المسلمات السابقات الفاضلات، وممن أثّرين تاريخ المرأة المسلمة بأعمال طيبة في الجهاد والفقّه ورواية الحديث^(١)، أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار، وبايعت الرسول ﷺ معهن، وروت عن النبي ﷺ وغزت معه سبع غزوات، وفي ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف كانت تسير في ركب الجيش الغازي، تصنع الطعام للمجاهدين، وتخلّفهم في رحالهم، وتدأوي جرحاهم، وترقأ

(١) ذكرها الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول ﷺ، وفي الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي.

دمهم، وتقوم على المرضى^(١).

شهدت فتح خيبر مع رسول الله ﷺ، وكانت من بين عشرين امرأة خرجن مع رسول الله ﷺ ليتغين أجر الجهاد، كما شهدت حنين وغيرهن.

توفيت بعد السنة الثامنة للهجرة، وقيل: سنة سبعين للهجرة، والذي نراه أن التي توفيت سنة سبعين هي: نسيبة بنت كعب، وكنيتها أمّ عمارة، حيث انتقلت في آخر عمرها إلى البصرة، وعاشت إلى حدود سنة سبعين.

وعن الضحّاك بن مخلد أبو عاصم النبيل، عن أبي الجراح، وجابر بن صبح، عن أمّ شراحيل مولاة أمّ عطية، قالت: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقيل عند أمّ عطية.

وكانت أمّ عطية ممن روى الحديث عن رسول الله ﷺ، قيل: لها أربعون حديثاً، أخرج لها البخاري ومسلم، وأصحاب السنن الأربع، وروى عنها أنس بن مالك من الصحابة، ومن التابعين محمد بن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وأمّ شراحيل، وعلي بن الأقرم، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن عبد الرحمن، وذكر لها صاحب أسد الغابة، وصاحب أعيان الشيعة^(٢).

وهي التي روت حديث: «ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف

(١) طبقات ابن سعد ٨ ص: ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ٢ ص: ٢٣٠، الإصابة: ١٩٤٧.

(٢) أعيان الشيعة ج: ٣ ص: ٤٨٣.

الملك الموكل بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات، فإن استغفر الله من ذنبه لم يرفعه عليه يوم القيامة»^(١).

وحديثها في غسل آنية رسول الله ﷺ مشهور في الصحيح، كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة.

وقد كانت أم عطية تغسل من مات من النساء في عهد رسول الله ﷺ طلباً للمثوبة والأجر من الله تعالى.

وهي التي غسلت زينب بنت النبي ﷺ أو ربيته، فعنها قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ لَمَّا توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فأمرنا فقال: اغسلنها وترّاً، ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيء من كافور، فإذا غسلتھا فأعلمني .

فلَمَّا غسلناها، أعطانا حقوه، وقال: أشعرنها إياه.

وألقى عليها رداءه، وجعل الرداء شعاراً يدل على انتفاع الميت بما فيه من بركة».

(١) أسد الغابة، أعيان الشيعة ج: ٣ ص: ٤٨٣.

آمنة

المُهدى إليها رأس زوجها الشهيد



أمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصيحة اللسان، حاضرة الجواب، شديدة على أعداء الله ورسوله، ومحبة ومناصرة لأمر المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأهل بيته، لا تأخذها في الله لومة لائم، أَسَمَعْتُ معاوية بن أبي سفيان في محاورتها معه كلاماً قارصاً وجواباً لا ذعاً.

وعمر بن الحمق الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خيار صحابة رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن المقرّبين منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أسلم قبل الفتح، وأخلص في إسلامه، وكان شاباً في مقتبل العمر (٢٥ سنة) يوم دعا له رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يمتّعه الله في شبابه، فعاش ثمانون عاماً ولم تبيض له شعرة واحدة.

وعده الشيخ من أصحاب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أصحاب الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

وعده البرقي من شرطة الخميس من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: عمرو بن الحمق، عربيّ خزاعي^(٢).

وعده الكشي من حوارى أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) رجال الشيخ الطوسى ص: ٤٧ و ٦٩.

(٢) رجال البرقي ص: ٤.

وعده الشيخ المفيد في الاختصاص من أصفياء أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

وحين توفي النبي ﷺ لازم علياً عليه السلام وتفانى في حبه وولائه له ولأهل البيت عليهم السلام، وكان من خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال الإمام عليه السلام في حقه: «ليت من جندي مائة مثلك يا خزاعي»، ثم دعا له وقال: «اللهم نور قلبه بالتقوى واهده إلى صراطك المستقيم».

وقال هو يوماً لأمر المؤمنين عليهم السلام معرباً عن ولائه وإخلاصه: «والله ما أجبك للدينا، ولا لمنزلة تكون لي بها، وإنما أجبك لخمس خصال:

- لأنك أول المسلمين إيماناً.
- ولأنك ابن عم رسول الله ﷺ.
- وأعظم المهاجرين والأنصار جهاداً وتضحية وتفانياً في سبيل محمد ﷺ ورسالته.
- وزوج بضعة الرسول سيدة النساء عليها السلام، وأب لعرة رسول الله ﷺ وذريته.

والله لو قطعت الجبال الرواسي، وبحرت البحار الطوامي، في توهين عدوك، وتلقيح حجّتك، كان ذلك قليلاً من كثير ما يجب عليّ من حقك».

(١) الاختصاص للشيخ المفيد.

﴿ قصّة مواجهتها مع معاوية: ﴾

بعد أن استشهد أمير المؤمنين عليه السلام جدّ معاوية بن أبي سفيان في طلب شيعته والتضييق عليهم والتنكيل بهم، وقد روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كورة، وعلى كلّ منبر يلعنون علياً، ويرؤون منه، ويقعون فيه وأهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمّية، وضم إليه البصرة، وكان يتبع الشيعة، وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من كان قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوا إليّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لمّا كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع

ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا يتركوا خيراً يرويه الناس في أبي تراب إلا واثقوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى روه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفّع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة،

حتى أنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه.

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المراءون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلون الكذب فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حق ولو علموا أنّها باطلة لمّا رويوها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا خائف على دمه، أو طريد في الأرض، ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان فاشتدّ على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح ببغض علي عليه السلام وموالاته أعدائه، فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنان له، حتى أنّ إنساناً وقف للحجاج -يقال إنّ جد الأصمعي عبد الملك بن قريب- فصاح به: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسموني علياً، وإنّي فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال:

للطف ما توّسّلت به قد وليتك موضع كذا.

وروى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم انتهى .

ومما فعله معاوية بعد عام الجماعة بشيعة علي عليه السلام - بعد ما أمّنهم وأعطى على نفسه العهود في كتاب الصلح بينه وبين الحسن عليه السلام أن لا يتعرض لهم بسوء - أنّه أرسل إلى زياد بعد ما ولّاه الكوفة والبصرة أن يبعث إليه عبدالله بن هاشم المرقال، وأن يخلق رأسه ويلبسه جبّة شعر ويقيده ويغلّ يديه بغل إلى عنقه، ويحمّله على قتب بغير بغير وطاء ولا غطاء.

ففعل به زياد ذلك وأنفذه إليه، فوصله وقد غيّرت الشمس وجهه، ولقي تعباً كثيراً وكان من أمره معه ما هو معروف.

وكان ممن طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، وكان من أعيان الكوفة، المعروف بولائه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فأمر معاوية والي الكوفة (زياد بن أبيه) أن يحضره إليه.

فلما علم عمرو بن الحمق الخزاعي فرّاً إلى المدائن، فقام زياد ابن أبيه باعتقال زوجته آمنّة بنت الشريد، ووضعها في حبسه، ثم أرسلها إلى معاوية الذي سجنها لمدة سنتين.

وبعد البحث والمتابعة علم زياد بن أبيه بمكان عمرو بن الحمق الخزاعي وصاحبه الذي فرّ معه وهو رفاعة بن شداد،

فأرسل جلاوزته إلى المدائن بحثاً عنهما، فخرجا من المدائن ليلاً باتجاه الموصل، والتجأ إلى جبل من ضواحي الموصل وأقاما فيه، فبلغ عامل معاوية على الموصل (بلتعة بن أبي عبد الله) أنّ رجلين يختبآن في ذلك الجبل ويتجنبان الناس، فسار إليهما مع جماعة من أصحابه، فلما انتهوا إلى الجبل خرج إليهما عمرو الخزاعي ورفيقه رفاعة بن شداد، وكان عمرو بن الحمق الخزاعي يعاني من مرض ألم به من آثار سم دسّه إليه جماعة من أنصار معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن باستطاعته أن يقاوم أو يهرب منهم فاستسلم للقوم، وأمر رفيقه رفاعة بن شداد أن ينجو بنفسه، لأنّ دفاعه عنه لا يفيد، فركب فرسه وشق له طريقاً بينهم وهرب بنفسه.

فاعتقلوا عمرو بن الحمق الخزاعي وهم لا يعرفونه، وأقنعوه أن يعرّفهم بنفسه ونسبه، فاكتفى بالقول لهم: أنا من إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضر عليكم. فأرسلوه إلى حاكم الموصل عبدالرحمن بن عبد الله الثقفي وكان يعرفه، فأرسل رسالة إلى معاوية يخبره بأمره.

فأجابه معاوية: لقد قيل بأنّه طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، ونحن لا نريد أن نعتدي عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان.

فنفذ عبدالرحمن الثقفي الحكم، ثمّ جزّ رأسه وأرسله إلى معاوية في الشام، وكان أول رأس حُمل في الإسلام، فأمر معاوية بأن يطاف برأسه في الشام وغيرها، لكي يكون عبرة لغيره، ثمّ

نادى حارس السجن وأمره بأن يأخذ الرأس إلى زوجته (آمنة بنت الشريد) ويلقيه في حجرها، وأن يحفظ ما تتكلم به ليؤديه إليه.

ألقي الرأس في حجر آمنة بنت الرشيد فارتاعت له ساعة وكادت أن تموت، ثم وضعت يدها على رأسها وقالت: «واحزناء لصغره في دار هوان، وحيفة من ضيمة سلطان، غيَّبتموه عني طويلاً، وأهديتموه إلي قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا اليوم له غير ناسية».

ثم التفتت إلى حارس السجن وقالت: «أرجع به إلى معاوية وقل له ولا تخفي دونه: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك».

◀ المواجهة:

لَمَّا أن جاء الرسول إلى معاوية وأخبره بما قالت آمنة بنت الرشيد، غضب معاوية غضباً شديداً، وأمر بإحضارها إلى مجلسه، فلمَّا حضرت قال لها: أنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني عنك؟

قالت: «نعم غير نازعة عنه، ولا معذرة منه، ولا منكورة له، وقد اجتهدت في الدعاء عليك إن نفع الاجتهاد، وأن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وأن الله بالنقمة من ورائك».

فالتفت إلياس بن حسل -وكان أحد المرتزقة - إلى معاوية،

وقال: اقتل هذه المرأة، فوالله إن زوجها لم يكن أحق بالقتل منها.

فالتفتت إليه فلمّا رآته نأتى الشديقين ثقیل اللسان قالت: «تباً لك، ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس؟ ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(١)». فضحك معاوية ثم قال: لله درك، اخرجني ثم لا أسمع بك من شيء في الشام.

قالت: «وأبي لأخرجنّ ثم لا تسمع لي في شيء من الشام، فما الشام لي بحبيب، ولا أخرج فيها على حميم، وما هي لي بوطن، ولا أحسن فيها إلى سكن، ولقد عظم فيها ديني، وما قرّرت فيها عيني، وما أنا فيها إليك بعائدة، ولا حيث كنت بجاحدة». فأشار إليها ببنانه: أن اخرجني.

فخرجت وهي تقول: «واعجبي لمعاوية يكفّ عني لسانه، ويشير إلى الخروج ببنانه، أما والله ليعارضنّه عمرو بكلام شديد أوجع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد»^(٢).

فخرجت وتلقاها الأسود الهلالي وكان رجلاً أسوداً أصلعاً أسلعاً^(٣) أصلعاً^(٤) فسمعها وهي تقول ما تقول، فقال: لمن

(١) سورة القصص، آية ١٩.

(٢) الاختصاص ص: ١٧، أعيان الشيعة ٢ ص: ٩٥، رياحين الشريعة ٣ ص: ٣٢٦، أعيان النساء ص: ٢٠، أعلام النساء ١ ص: ١١.

(٣) الأسلع: الأبرص (لسان العرب ٨ ص: ١٦٠ باب: سلع).

(٤) الأصعل: دقيق الرأس والعنق (لسان العرب ١١ ص: ٣٧٨ باب: صعل).

تعني هذه؟ ألا مير المؤمنين تعني! عليها لعنة الله.

فالتفت إليه فلمّا رآته قالت: «خزياً لك وجدعاً، أتلعنني واللعنة بين جنبيك وما بين قرنيك إلى قدميك، اخساً يا هامة الصعل، ووجه الجعل، فاذلل بك نصيراً، وأقلل بك ظهيراً». فبهت الأسود ينظر إليها ثمّ سأل عنها فأخبر، فأقبل إليها معتذراً، خوفاً من لسانها، فقالت: «قد قبلت عذرك، وإن تعد أعد، ثمّ لا استقبل ولا أراقب فيك».

فبلغ ذلك معاوية فقال: زعمت يا أسلع أنك لا توافق من يغلبك، أما علمت أنّ حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام، أفلا تركت كلامها قبل البصبصة منها والاعتذار إليها؟!

قال: إي والله يا أمير المؤمنين، لم أكن أرى شيئاً من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة، جالستها فإذا هي تحمل قلباً شديداً، ولساناً حديداً، وجواباً عتيداً، وهالتي رعباً، وأوسعتني سباً.

ثمّ التفت معاوية إلى عبيد بن أوس فقال: ابعث لها ما تقطع به عنّا لسانها، وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها، ثمّ قال: اللهم اكفني شر لسانها.

فلمّا أتاها الرسول بما أمر به معاوية قالت: «يا عجيبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إليّ بالجوائز، فليت أبي كرب سدّ

عني حرّة صلة، خذ من الرضعة ما عليها»^(١).

فأخذت ذلك وخرجت تريد الجزيرة، فمرت بحمص فقتلها الطاعون، فبلغ ذلك الأسلع، فأقبل إلى معاوية كالمبشّر له فقال له: أفرخ روعك يا معاوية قد استجيت دعوتك في ابنة الشريد، وقد كفيت شر لسانها.

فقال معاوية: وكيف ذلك؟

قال: مرّت بحمص فقتلها الطاعون.

فقال له معاوية: فنفسك فبشّر بما أحببت، فإنّ موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك، ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوباً^(٢) وبيلاً.

فقال الأسلع: ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله أو أشدّ منه^(٣).

وجاء في بعض الروايات أن معاوية أمر بقتلها فقتلت.

(١) هكذا ورد في المصادر المتوفرة لدينا من دون توضيح، وبعد التبع ظهر أنّ هذا الكلام عبارة عن مثلين دُججا، وحصل لهما تصحيف في بعض عبارتهما: ففي مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ٢ ص: ١٩٤ رقم: ٣٣٥٠: ليت حظي من أبي كرب أن يسدّ عني خيره خبله، قيل: نزلت بقوم شدة فقالوا لعجوز عمياء: أبشري فهذا أبو كرب قد قرب منا، فقالت هذا القول، وأبو كرب، تُبّع من تبابعة اليمن.

وقال الجوهري في الصحاح ٤ ص: ١٣٦٥ باب: رصف، الرّصفُ: الحجارة المحمّاة يُوغر بها اللبن، واحدها: رَصْفَةٌ، وفي المثل: خُذ من الرّصْفَةِ ما عليها.

(٢) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره (لسان العرب ٢ ص: ٤٧٩ باب: شأب).

(٣) بلاغات النساء ص: ٥٩.

بِكَارَة

اللبؤة الهصور في مجلس معاوية



كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة، وكانت من أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب صفين، خطبت بها خطباً حماسية، حضّت بها القوم أن يخوضوا غمارات الحرب بدون خوف ولا وجل^(١).

وهي من الصحابيات المواليات والمناصرات والمجتهدات في مودة ومحبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كانت كالأسد الهصور في مجلس معاوية، والمرء ليعجب كل العجب من موقفها وشجاعتها أمام طاغية زمانها.

عن عبدالله بن عمرو قراءة من كتبه قال: حدّثنا إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن الفضل، عن ابراهيم بن محمد الشافعي، عن محمد بن إبراهيم، عن خالد بن الوليد، عن سمعته عن حذافة الجهمي^(٢)، قال: وفدت (يعني بكارة الهلالية) على

(١) أعلام النساء تأليف عمر رضا كحالة.

(٢) وروى ذلك أيضاً ابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ١ ص: ١٣٧، ضمن الوافدات على معاوية، عن محمد ابن عبدالله الخراعي، عن الشعبي، مع اختلاف في الألفاظ، وذكرها أيضاً عمر رضا كحالة في أعلام النساء ١ ص: ٣٤٦، والمحلاقي في رياحين الشريعة ٤ ص: ٨٤.

معاوية بن أبي سفيان^(١)، وكان عنده مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، وسعيد بن العاص، بعد أن كبر سنهما، ودقَّ عظمها، وعشى بصرها، وضعفت قوّتها، ترعش بين خادمين لها، وهي متّكئة عليهما، ويدها عكّاز، فسَلّمت وجلست. فردّ عليها معاوية السلام، وأذن لها في الجلوس، وقال: كيف أنت يا خالة؟

قالت: «بخير يا أمير المؤمنين».

قال معاوية: غيّرك الدهر؟!

قالت: «كذلك هو ذو غير، ومن عاش كبر، ومن مات قبر».

فقال مروان: أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين؟

قال معاوية: ومن هي؟

قال مروان: هي التي كانت تعين علينا يوم صقّين، وهي القائلة:

يا زيد دونك فاستثر^(٢) من دارنا

سيفاً حساماً في التراب دفينا

قد كنت أذخره ليوم كريهة^(٣)

فاليوم أبرزه الزمان مصونا

(١) ذكرها صاحب بلاغات النساء أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، المولود ببغداد سنة ٢٠٤هـ والمتوفى سنة ٢٨٠هـ، وصاحب العقد الفريد، وصاحب البلاغات رواه بطريقين ثانيهما موافق لرواية العقد.

(٢) في هامش العقد الفريد، وفي بعض الأصول: فاحتفر.

(٣) ورد في كتاب بلاغات النساء: قد كان مذخوراً لكلّ عظمة.

وقال عمرو بن العاص: وهي القائلة يا أمير المؤمنين:
أترى ابن هند للخلافة مالكا
هيهات ذاك وما^(١) أراد بعيد
متّك نفسك في الخلاء ضلالة
أغراك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنكد طائر بنحوسها
لاقت عليها اسعد وسعود
فقال سعيد يا أمير المؤمنين وهي القائلة:
قد كنت أمل^(٢) أن أموت ولا أرى
فوق المنابر من أميّة خاطباً^(٣)
فالله أخر مدتي فتناولت حتّى
رأيت من الزمان عجائباً
في كلّ يوم لا يزال خطيهم
وسط الجموع لآل أحمد عائياً^(٤)
ثمّ سكت القوم، فقالت بكاره: «نبحتني كلابك يا أمير

(١) في العقد الفريد: وإن.

(٢) في العقد الفريد: أطمع.

(٣) التوحيد العدد ٧٩ السنة ١٤ كانون الأول ١٩٩٥ م: واقع الشعر الإسلامي بعد الخلافة الراشدة لعبد الحميد فرج الله ص: ١٦٨.

(٤) في العقد الفريد:

في كلّ يوم للزمان خطيهم بين الجموع لآل أحمد عائياً.



المؤمنين واعتورتني، فقصر محجني^(١)، وكثر عجبني^(٢)، وعشي
بصري، وأنا والله قائلة ما قالوا، لا أدفع ذلك بتكذيب، وما
خفي عليك مني أكثر! فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب».

فضحك معاوية وقال: هذا لا يمنع من إحساني وجميلي
لك، فاطلبي ما تريدين.

قالت بكارة: «لا أريد شيئاً منك، وقامت وذهبت»^(٣).

(١) المحجن والمحنة: العصا المعوجة (لسان العرب ١٣ ص: ١٠٨ باب: حجن).

(٢) عجي، وعج: يعني رفع صوته بالدعاء والاستغاثة (لسان العرب ٢ ص: ٣١٨ باب: عجاج).

(٣) أمّا الآن فلا.

جروة

والاستدعاء في الليلة الظلماء



هي جروة بنت مرّة بن غالب التميميّة، من بني أسد بن عمرو بن تميم، كانت تسكن في مكة.

◀ قصّتها مع معاوية:

جاء في كتاب الوافدين والوافدات على معاوية، عن أبي عبدالله محمد بن زكريا، عن العباس بن بكار، عن عبدالله بن سليمان المديني، عن أبيه وسهيل التميمي، عن أبيه، عن عمته، قالت: احتجم معاوية يوماً بمكة، فلمّا أمسى أرق أرقاً شديداً، فأرسل إلى جروة بنت مرّة وكانت مجاورة بمكة، فلمّا دخلت عليه، قال لها: مرحباً يا بنت مرة، أزعجناك!!

قالت: «أي والله، طرقت في ساعة ما طرق فيها الطير في وكره، فأرعبت قلبي، وأرعبت صبياني، وأفزعت عشيرتي، وتركت بعضهم يموج في بعض، يتراجعون القول، ويترددون الأمر، ويرصدون الكلام، خشية منك وخوفاً عليّ».

فقال: ليسكن روعك، ويطب قلبك، فإنّ الأمر على خلاف ما ظننت، إنّني احتجمت وقد أعقبني ذلك أرقاً، فأرسلت إليك لتحديثني عن قومك.

قالت: «عن أيّ قوم تسألني؟»

قال: عن بني تميم.

قالت: «يا أمير المؤمنين، هم أكثر الناس عدداً، وأوسعهم بلداً، وأبعدهم أمداً، الذهب الأحمر، والحسب الأفخر، والعدد الأكثر».

قال: صدقت! فنزّلهم لي.

قالت: «أمّا بنو عمرو بن تميم، فأصحاب بأس ونجدة، وتحاشد وشدة، لا يتحاذلون عند اللقاء، ولا يطمع فيهم الأعداء، سلمهم فيهم، وسيفهم على عدوهم».

قال: صدقت ونعم القوم لأنفسهم.

قالت: «وأمّا بنو سعد بن زيد مناة، ففي العدد الأكثرون، وفي النسب الأطيون، يضربون إن غضبوا، ويدركون إن طلبوا، أصحاب سيوف وحجف، ونزال وزلف، على أن بأسهم فيهم، وسيفهم عليهم».

وأمّا بنو حنظلة، فالبيت الرفيع، والحسب البديع، والعز المنيع، المكرمون الجار، والطالبون الثأر، والرافعون الآثار، والناقضون الأوتار».

فقال لها: إنّ حنظلة شجرة تفرع.

قالت: «صدقت يا أمير المؤمنين، وأمّا البراجم، فأصابع مجتمعة، وأكفٌ ممتعة».

وأمّا بنو طميعة طهية، فقوم هوج، وقرن لجوج.

وأمّا بنو ربيعة، فصخرة صماء، وحيّة رقشاء، عزّهم

لغيرهم، ويفخرون بقومهم.
وأما بنو يربوع، ففرسان الرماح، وأسود الصباح، يعتقدون
الأقران، ويقتلون الفرسان.
وأما بنو مالك، فجمع غير مفلول، وعزٌّ غير مجهول، ليوث
هرّارة، وخيول كرّارة.
وأما بنو دارم، فكرم لا يداني، وشرف لا يسامي، وعزٌّ لا
يوازي.

قال: أنت أعلم الناس بتميم، فكيف علمك بقيس؟
قالت: «كعلمي بنفسي!»
قال: فأخبريني عنهم.
قالت: «أما غطفان، فأكثر سادة، وأمنع قادة.
وأما فزارة، فبيتها المشهور، وحسبها المذكور.
وأما ذبيان، فخطباء شعراء، أعزّة أقوياء.
وأما بنو عبس، فجمرة لا تطفئ، وعقبة لا تعلّ، وحيّة لا
ترقى.

وأما هوازن، فحلّم ظاهر، وعزٌّ قاهر.
وأما سليم، ففرسان الملاحم، وأسود ضراغم.
وأما نمير، فشوكة مسمومة، وهامة مكبومة، وأرنة
معلومة، ورآية ملمومة.
وأما هلال، فاسم فخم، وعزٌّ ضخّم.
وأما بنو كلاب، فعدد كثير، وفخر أثير، وحلم كبير».

قال لها معاوية: لله أنت، فما قولك في قريش؟
 قالت: «أما قريش، فهم ذروة السنام، وسادة الأنام،
 والحسب القمقام».
 قال: فما قولك في علي بن أبي طالب؟
 قالت:
 «جاز والله في الشرف حدًّا لا يُوصف..
 وغاية لا تُعرف..
 وبالله أسألك إعفائي مما أتحوِّف».
 قال: قد فعلت، وأمر لها بضيعة نفيسة، غلّتها عشرة آلاف
 درهم^(١).

(١) بلاغات النساء ص: ٧٣، بهج الصباغة ج ١٠ ص: ٢٨٠.

حرّة

البرهان القاطع أمام الحجّاج القامع



من قبيلة بني سعد، التي تعد من أفصح القبائل العربية لساناً، وأكرمهم خلقاً، وكانت - هذه القبيلة - تسكن أطراف مدينة الطائف.

وهي من ربّات الاعتقاد والصبر والثبات، ومن السابقات في اعتناق الإسلام، وهي شديدة الاعتقاد في رسول الله محمد ابن عبدالله ﷺ، وابن عمّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن الموالين والمدافعين عنهما، وإحدى المجاهدات باللسان التي قالت كلمة الحق أمام سلطان جائر^(١).

أبوها: الحارث بن عبدالعزيز بن رفاعة السعدي.

أمها: حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية، مرضعة النبي ﷺ، ولذلك فرسول الله محمد بن عبدالله ﷺ، أخوها من الرضاعة.

ولها إخوة منهم: عبدالله، وضمرة.

ولها أخوات منهن: أنيسة، والشيءاء.

(١) أعلام النساء المؤمنات تأليف محمد الحسون ص: ٢٩٥ تحت رقم: ١٩٣.

◀ قَصَّتْهَا مَعَ الْحَجَّاجِ:

الحجّاج بن يوسف بن عقيل الثقفي، من عمال عبد الملك بن مروان، وهو الذي غزى مكة المكرمة، واستولى عليها بعد أن قتل عبدالله بن الزبير، فولّاه عبد الملك مكة والمدينة، ولمّا توفي بشر بن مروان (أخ عبد الملك بن مروان) وكان الوالي على العراق، أعطى عبد الملك ولاية العراق للحجّاج بن يوسف الثقفي.

روي أنّ^(١) الحجّاج ولد مشوّهاً لا دبر له، وأنه تمنع عن شرب لبن أمه أو غيرها، فأعياهم أمره، حتّى تصوّر لهم الشيطان في صورة رجل، فقال: إذا أردتم له أن يشرب اللبن فاذبحوا له تيساً أسود وألحقوه بدمه، واطلّوا له وجهه ثلاثة أيام، فإنّه يقبل الثدي. ففعلوا ذلك، فقبل الثدي.

وكان لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يقول: إنّ أكبر اللّذات عنده سفك الدماء، حتّى قتل أكثر من مائة وعشرين ألف، سوى من قتل في الحروب.

وكان معروفاً بالصلافة، والقساوة، وبالكراهة الشديدة لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من شدّة بغضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده وشيعته أنّ عبدالله بن هاني (وهو رجل من أدحى من اليمن، وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجّاج مشاهدته

(١) مروج الذهب.

كلّهما، وشهد معه تحريق البيت الحرام، وكان من أنصاره
وشيعته)، فقال له الحجاج يوماً: يا بن هاني، إنّ ما كافأناك
حقّك بعد، ولك علينا حق عظيم، وأنا اليوم مكافئك.

فأرسل الحجاج إلى أسماء بن خارجة الفزاري، وهو من
فزارة، فأحضره وقال: زوّج ابنتك من عبدالله بن هاني.

فقال: لا، ولا كرامة له علينا، ولا يكفئنا.

فدعى الحجاج جلاوزته وقال: اضربوه بالسياط.

فلما رأى ذلك قال: زوّجته ابنتي.

فقال الحجاج لعبدالله بن هاني: زوّجتك بنت سيد فزارة،
وما قبيلة أود هنالك^(١).

فقال عبدالله بن هاني: لا تقل ذلك، أصلح الله الأمير، فإنّ
لنا مناقب ما هي لأحد من العرب.

قال الحجاج: ما هي هذه المناقب؟

فقال: الأولى: إنّ ما سُب عثمان في ناد لنا قط.

والثانية: إنّ ما شهد منّا صفّين مع معاوية سبعون رجلاً في
حرب علي.

والثالثة: إنّ ما شهد مع أبي تراب منّا إلاّ رجل واحد كان
والله ما علمناه امراً سوء.

والرابعة: إنّ ما منا رجل زوّج ابنته بأبي تراب ولا تولّاه.

والخامسة: إنّ ما علم منا رجل أنّ أباه سب أبا تراب ولعنه

(١) اسم قبيلة عبدالله بن هاني.

إلا وفعل مثله.

والسادسة: إنني أزيد ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء^(١).

والسابعة: إنّه ما منا امرأة إلا ونذرت إن قُتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، وفعلن ذلك.

فقال الحجاج: هذه مناقب يُفتخر بها.

وجاء في الروايات أنّ الحجاج كان شديد العداوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته ومحبيه، بحيث إذا اطلع على أحد من شيعته لا يستقر حتى يقتله.

وكان من جملة من أراد قتلهم حرّة بنت حليمة السعدية، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فاستدعاها وأمرها بالمشول بين يديه.

فلما وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي، ومثلت بين يديه قال لها:

أنت حرّة بنت حليمة السعدية؟

قالت له: «فراصة من غير مؤمن».

فقال لها: الله جاء بك، فقد قيل عنك أنّك تفضّلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان؟!!

فقالت: «لقد كذب الذي قال إنني أفضّله على هؤلاء خاصة».

(١) لعنك الله يا عبدالله بن هاني وزاد في عذابك لجرأتك على الله ورسوله ﷺ.

قال: وعلى من غير هؤلاء؟!

قالت: «أفضله على آدم، ونوح، ولوط، وإبراهيم، وداود، وسليمان، وعيسى بن مريم عليهم السلام».

فقال لها: ويلك، أقول إنك تفضلينه على الصحابة، فتزيدن عليهم سبعة من الأنبياء، أربعة منهم من أولي العزم من الرسل، إن لم تأتيني بيان ما قلت ضربت عنقك. فقالت: «ما أنا مفضّله على هؤلاء الأنبياء، ولكن الله عزّ وجلّ فضّله عليهم في القرآن.

قال عزّ وجلّ في حق آدم: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(١). وقال في حق علي عليه السلام: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^(٢).

فقال: أحسنت يا حرّة..

فبما تفضلينه على نوح ولوط؟

فقالت: «الله عزّ وجلّ فضّله عليهما بقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰٰخِلِينَ﴾^(٣).

(١) سورة طه آية رقم: ١٢١.

(٢) سورة الانسان آية رقم: ٢٢.

(٣) سورة التحريم آية رقم: ١٠.

وعليُّ بن أبي طالب عليه السلام كان ملاكه تحت سدره المنتهى^(١)،
زوجته بنت محمد فاطمة الزهراء عليها السلام التي يرضى الله تعالى
لرضاها ويسخط لسخطها^(٢).

فقال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فيما تفضّلينه على أبي
الأنبياء إبراهيم عليه السلام خليل الله؟

قالت: «الله فضله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ
تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيُظْمِنَ قَلْبِي﴾^(٣).
ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام قال قولاً لم يختلف فيه أحد من
المسلمين، قال: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه

(١) في تزويج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام روي عن جابر بن سمرة قال: قال
رسول الله ﷺ: أيها الناس هذا علي بن أبي طالب أنتم تزعمون أنني أنا زوجة
ابنتي فاطمة ولقد خطبها إليّ أشراف قريش فلم أجب، كل ذلك أتوقع الخبر من
السماء حتّى جاءني جبرائيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد،
العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في وادٍ يقال له:
الأفيج تحت شجرة طوبى وزوج فاطمة عليّاً وأمرني، فكنت الخاطب والله تعالى
الوليّ.

كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص: ٢٩٩، الغدير ج ٢ ص: ٣١٥.

(٢) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ في حق فاطمة عليها السلام: إنّ الله يغضب لغضبك
ويرضى لرضاك.

المستدرک للحاکم ج ٣ ص: ١٥٤، الاصابة ج ٤ ص: ٣٧٨، كنز العمال ج ١٢ ص:
١١١ حديث: ٣٤٢٣٧ و ٣٤٢٣٨، جواهر البحار للبناني ج ١ ص: ٣٦٠، فرائد
السمطين ج ٢ ص: ٤٦ حديث: ٣٧٨، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص:
٣٥١ حديث: ٤٠١، أسد الغابة ج ٥ ص: ٥٢١، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص: ٤٤١،
ذخائر العقبى ص: ٣٩، مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص: ٥٢، مجمع الزوائد ج ٩
ص: ٢٠٣، الصواعق المحرقة ص: ١٩٠ حديث: ٥، فضائل الخمسة ج ٣ ص: ١٨٤،
الغدير ج ٣ ص: ٢٠ وص: ١٨٠.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ٢٦٠.

كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده^(١)».

فقال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فيما تفضليته على موسى
كليم الله؟

قالت: «يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾^(٢).

وعلي بن أبي طالب عليه السلام بات على فراش رسول الله ﷺ
لم يخف حتّى أنزل الله تعالى في حقّه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣)».

قال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فيما تفضليته على داود
وسليمان؟

قالت: «الله تعالى فضله عليهما بقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا دَاوُدُ
إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)».

قال لها: في أيّ شيء كانت حكومته؟

قالت: «في رجلين، رجل كان له كرم والآخر له غنم،
فنفشت الغنم بالكرم فرعته، فاحتكما إلى داود عليه السلام، فقال:

(١) المناقب للخوارزمي ص: ٣٧٥ حديث: ٣٩٥، ينابيع المودة ص: ٦٥، شرح نهج
البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص: ٢٥٣، احقاق الحق ج ٥ ص: ٤٨ وج ٧ ص: ٦٥٥
وج ١٧ ص: ٤٦١.

ولله در البوصيري إذ يقول في هذا المعنى في همزيته العصماء:

ووزير ابن عمّه في المعالي ومن الأهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقيناً بل هو الشمس ما عليه غطاء

(٢) سورة القصص آية رقم: ٢١.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ٢٠٧.

(٤) سورة ص آية رقم: ٢٦.

تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ما كان عليه، فقال له ولده: لا يا أبه بل يؤخذ من لبنها وصفوها، فقال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١).

وإنّ مولانا أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: سلوني عما تحت العرش^(٢)، سلوني قبل أن تفقدوني^(٣)، وإنه عليه السلام دخل على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقال النبي ﷺ للحاضرين: أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي^(٤).

فقال لها: أحسنت، فيما تفضّلينه على سليمان؟

فقالت: «الله تعالى فضّله عليه بقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾»^(٥).

ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

(١) سورة الأنبياء: آية ٧٩

(٢) كنز العمال ج ١٣ ص: ١٦٥ حديث: ٣٦٥٠٢، إرشاد القلوب للديلمى ص: ٣٧٧، بحار الأنوار ج ١٠ ص: ١٢٦ حديث: ٦، مشارق أنوار اليقين ص: ١٧٨.

(٣) نهج البلاغة (صحيح الصالح) ص: ٢٨٠ خطبة: ١٨٩ و ص: ١٣٧ خطبة: ٩٣، تهذيب التهذيب ج ٧ ص: ٣٣٨، كنز العمال ج ١٣ ص: ١٦٥ حديث: ٣٦٥٠٢، حلية الأولياء ج ١ ص: ٦٥، بنابيع المودة باب: ١٤ في غزارة علمه عليه السلام ص: ٦٦، التوحيد للصدوق ص: ٩٢ حديث: ٦ و ص: ٣٠٤ حديث: ١، أمالي الشيخ الصدوق ص: ١ ج: ٢٨٠، الطرائف للسيد بن طاووس ص: ٧٣ حديث: ٩٠، بحار الأنوار ج ١٠ ص: ١٢٨ حديث: ٧ و ج ٤٠ ص: ١٥٣ و ج ٤١ ص: ٣٤٨ حديث: ٦١، الغدير للاميني ج ٦ ص: ١٩٣.

(٤) الفضائل لابن شاذان ص: ١٣٨، بحار الأنوار ج ٤٦ ص: ١٣٦ حديث: ٢٥، عوالم العلوم ج ١٨ ص: ١٨٩ حديث: ١، إحقاق الحق ج ٥ ص: ٤٨.

(٥) سورة ص آية رقم: ٣٥.

يا دنيا طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ ^(١)، فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٢).

فقال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فيما تفضّليته على عيسى ابن مريم عليه السلام؟

قالت: «الله عزّ وجلّ فضّله بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ لِلنَّاسِ امْتَحَدُونَ وَأُمِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ^(٣) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» ^(٤).

فآخر الحكومة إلى يوم القيامة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام لما ادّعوا النصيرية ^(٥) فيه ما ادّعوه، قتلهم ^(٥) ولم يؤخّر حكومتهم.

(١) نهج البلاغة (صباحي الصالح) ص: ٤٨٠ خطبة: ٧٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٨ ص: ٢٢٤، بحار الأنوار ج ٤٠ ص: ٣٤٥ حديث: ٢٨، حلية الأبرار ج ٢ ص: ٢١٢ حديث: ٥، خصائص الأئمة عليهم السلام للشيخ الرضي ص: ٧٠.

(٢) سورة القصص آية رقم: ٨٣.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ١١٦ و ١١٧.

(٤) النصيرية: طائفة من الغلاة السبائية وملخص مقاتلتهم في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام: أنهم روح اللاهوت، وقد نقل ابن حزم في الفصل ج ٤ ص: ١٤٢، والشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ج ٢ ص: ٢٢، وغيرهما تفصيل مقالتهن، وقال الشهرستاني عنهن: غلبوا في وقتنا هذا على جند الأردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ولقد افترى الشهرستاني وابن حزم في عدّه الطائفة من فرق الشيعة.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٨ ص: ١١٩ و ١٢٠.

فهذه كانت فضائله لم تُعدّ بفضائل غيره». فقال الحجاج: أحسنتِ يا حرّة، خرجتِ من جوابك، ولولا ذلك لكان شيء آخر. ثم أجازها وأعطاهَا، وسرّحها سراحاً حسناً رحمها الله^(١).

(١) الفضائل لابن شاذان ص: ١٣٧، بحار الأنوار ج ٤٦ ص: ١٣٤ ج ٢٥، رياحين الشريعة ج ٤ ص: ١٤٤.

دارميّة

وكلمة حق أمام سلطان جائر



من فضليات النساء، راجحة العقل، فصيحة اللسان، قوية الحجة، صادقة الولاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيد الأوصياء عليه السلام، من بني كنانة كانت تنزل بالحجون وتعرف بهذه المنطقة^(١)، لها حكاية مع معاوية بن أبي سفيان أظهرت بها فصاحتها، وقوة حجتها، ورجاحة عقلها، وصدق ولائها وإشراق ثنائها^(٢).

◀ قصتها مع معاوية:

روى سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه^(٣)، قال: حج معاوية، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها: دارمية الحجوئية، وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجيء بها إليه، فنظر لها وقال: ما حالك يا بنة حام؟

ف قالت: «لست لحام إن عبتني، أنا امرأة من بني كنانة».

قال معاوية: صدقت، أتدريين لم بعث إليك؟

(١) الحجون: جبل بمحلة مكة.

(٢) أعلام النساء المؤمنات ص: ٣٣٣.

(٣) أعلام النساء المؤمنات ص: ٣٣٣.



قالت: «لا يعلم الغيبَ إلا الله».

قال: بعثتُ إليكِ لأسألكِ علامَ أحببتِ علياً وأبغضتيني،
وواليتِه وعاديتني؟

قالت: «أو تعفيني؟»

قال: لا أعفيك.

قالت: «أمّا إذا أبيت، فإنّي أحببت علياً على عدله في
الرّعية، وقسمته بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى
منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق.

وواليتُ علياً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء^(١)،
وحبّه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك
الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى».

قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك.

قالت: «يا هذا، بهند^(٢) والله كان يُضرب المثل في ذلك لابي».

قال معاوية: يا هذه أربعي^(٣)، فإنّا لم نقل إلا خيراً،
إنّه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا عظم ثديها
تروى^(٤) رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها.
فرجعت وسكنت.

(١) إشارة إلى قول النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من
والاه، وعاد من عاداه.

(٢) هي: هند بنت عتبة، أمّ معاوية.

(٣) ربع: وقف وانتظر وتحبس.

(٤) تروى: ارتوى.

قال لها: يا هذه، هل رأيت عليّاً؟

قالت: «إي والله».

قال: فكيف رأيته؟

قالت: «رأيتُه والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك».

قال: فهل سمعت كلامه؟

قالت: «نعم والله، فكان يجلو القلب من العمى، كما يجلو الزيتُ صدأ الطست».

قال: صدقتِ، فهل لك من حاجة؟

قالت: «أو تفعل إذا سألتك؟»

قال: نعم.

قالت: «تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلُّها وراعيها».

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: «أغذُو بالبانها الصغار، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأُصلِح بها بين العشائر».

قال معاوية: فإن أعطيتك ذلك، فهل أحلّ عندك محلّ علي بن أبي طالب؟

قالت: «ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا

كمالك^(١)، يا سبحان الله، أو دونه^(٢)؟»

فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعُدْ بالحِلْمِ مَنِّي عليكم
فمن ذا الذي بَعْدِي يُؤَمِّلُ للحِلْمِ
حُذِيها هَنِيئاً واذكري فعلَ ماجدِ جَزَاكِ
على حَرْبِ العداوةِ بالسَّلمِ
ثم قال: أما والله لو كان عليّ حيّاً ما أعطاك منها شيئاً.
قالت: «لا والله، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين»^(٣).

(١) صداء: عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها، والسعدان: نبت ذو شوك، وهو أفضل مراعي الإبل، ولا تحسن على نبت حسننها عليه، ومالك: هو ابن نويرة، وقد قال أخوه متمم هذا فيه لَمّا قتل، وهذه أمثلة ثلاثة تضرب للشيء يفضل على أشباهه.

(٢) استفهام إنكاري منها، أي أولى بك أن تطلب دون محله لا أن تطلب مثل محله.

(٣) العقد الفريد: ج ١ ص: ٣٥٢، صبح الأعشى: ج ١ ص: ٣٠٦، بلاغات النساء ص: ٧٢.

سَمِيَّة

شَهِيدَةُ الْإِسْلَامِ الْأُولَى



رائدات الولاء

٢٢٢

هي سمية بنت خباط^(١)، صحابية جليلة، من صحابات الرعيل الأول ممن دخل الإيمان في قلوبهم، وهي أول امرأة أظهرت إسلامها، وكانت سابعة سبعة في الإسلام. وهي أول شهيدة استشهدت في الإسلام، وجأها^(٢) أبو جهل بحربة فاستشهدت^(٣)، ضحّت بنفسها، وضحت بحياتها لأجل دينها.

زوجها هو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي، أي أنّ ياسر عربي قحطاني مذحجي من بني عنس، قدم مكة هو وأخوه الحارث ومالك من اليمن يطلبون أخاً لهم، فرجع أخواه، وأقام ياسر في مكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت سمية أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، فزوجها ياسر بن عامر، فولدت له عمّاراً، فأعتقه أبو حذيفة، ثمّ مات أبو حذيفة، فلمّا جاء الله بالإسلام أسلم عمّار وأبواه.

وكان من أشدّ من لقي العذاب بمكة الموالي، إذ أنّ قريشاً

(١) بمعجمة مضمومة وموحدة ثقلية

(٢) وجأها: يعني أنفذ الحربة في فرجها.

(٣) المعارف ص: ١١١، الإصابة ص: ٥٨٢.

جعلت كلَّ أحقادها وكراهيتها على هؤلاء الموالى الذين لم يكن لهم منعة ولا عصبية تمنعهم، ولعل من أشهر من عُدِّب في مكة آل ياسر، وكان يضرب المثل بهذه الأسرة في الابتلاء في تاريخ الإسلام.

كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة وقت الحر الشديد في الصيف الشديد، والتهبت الرمضاء أخرجوها (وكانت عجوزاً كبيرة) وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة. لقد بدأت رحلة العذاب مع سميّة وزوجها وابنها عمّار فكانت الأسرة الصابرة تزداد صلابة وإيماناً وتسليماً، ومر عليهم رسول الله ﷺ ذات يوم فتألم لهم وبكى ثم قال: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

ثم استشهد ياسر تحت التعذيب، وزوجته المؤمنة الوفية تنظر إليه فتزداد صلابةً وصبراً وثباتاً، وبدأت سميّة تتحدى وتجاهه بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وتقف صامدة أمام أبي جهل الذي غدا كالمسعود في مجابهة سميّة، قابلته بالسخرية، وحطمت كبرياءه وصلفه بصبرها وثباتها، وفطرت قلبه بعدم ذكرها رسول الله ﷺ ولو بكلمة واحدة.

لم يترك أبو جهل وسيلة في فتنها وابنها عن الدين الصحيح إلا اتبعها، فإن كان رجلاً له شرف ومنعة أنبه وقال له: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهنّ حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعنّ شرفك، وإن كان تاجراً قال له: والله لنكسدنّ

تجارتك، ولنهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.
وظلت سميّة وابنها يتحمّلان العذاب، ويصبران على أذى
أبي جهل صبر الأبطال، ولم تهن عزيتهما أو يضعف إيمانها،
ولقد تفنن الخبيث في إيذائهما بالنيل والشتيمة لرسول
الله ﷺ.

و ذات عشية أغلظ لها الكلام، وقال: ما آمنتِ بمحمّد إلاّ
لأنّك عشيقتك لجمالها، فأغلظت له القول فأغضبتة، ولم يكن من
جبروته وغيّه إلاّ أن طعنها بحربة في قلبها، وأنفذ النذل الجبان
حربته فيها، فماتت شهيدة في سبيل الله، وصعدت روحها إلى
بارئها راضية مرضية، وهي تشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً
رسول الله ﷺ، فكانت بذلك أوّل شهيدة في الإسلام.

ومن محبة رسول الله ﷺ لهذه العائلة المؤمنة، نراه في يوم
بدر لمّا قتل أبو جهل، يبشر ﷺ عماراً ويقول: «قتل الله
قاتل أمك يا عمار».

سودة

بين عدل الإمام علي عليه السلام وظلم معاوية



سودة بنت عمار بن الأشتر الهمدانية، شاعرة من شاعرات العرب، ذات فصاحة وبيان، وهي من شيعة علي رضي الله عنه، والحاضرات معه في صفين، جاهدت بلسانها وقالت كلمة الحق أمام السلطان الجائر معاوية بن أبي سفيان.

◀ قصتها مع معاوية:

في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، عن أبي موسى بن مهران، عن محمد بن عبيد الله الخزامي، عن الشعبي^(١)، قال: استأذنت سودة الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها. فلما دخلت عليه قال: هيه يا بنت الأسك^(٢) أأنت القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا بن عمار

يوم الطعان وملتقى الأفران

(١) رواه العباس بن بكار عن محمد بن عبيد الله أيضاً، ورويت القصة في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.

(٢) هي بنت الأشتر الهمدانية، وربما قوله بنت الأسك خطأ مطبعي أو للنيل منها.

وانصر علياً والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان
إنَّ الإمام أخو النبي محمّد
علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أُمّام لوائه
قُدُماً بأبيض صارم وسانان
قالت: «إي والله، ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر
بالكذب».

قال لها: فما حملك على ذلك؟
قالت: «حبّ علي عليه السلام واتباع الحق».
قال: فوالله لا أرى عليك من أثر علي.
قالت: «أنشدك الله من إعادة ما مضى، وتذكر ما قد نسي».
قال: هيهات، ما مثل مقام أخيك ينسى، وما لقيت من
أحد ما لقيت من قومك وأخيك.
قالت: «صدق فوك، لم يكن أخِي ذميم المقام، ولا خفي
المكان، كان والله كقول الخنساء:
وإن صخرًا لتأتم الهداة به
كأنّه علم في رأسه نار»

قال: صدقت لقد كان كذلك.
قالت: «مات الرأس، وبتر الذنب، وبالله أسأل يا معاوية
إعفائي مما استعفيت منه».

قال: قد فعلت، فما حاجتك؟

قالت: «إِنَّكَ أَصْبَحْتَ لِلنَّاسِ سَيِّدًا، وَلَأَمْرَهُمْ مُتَقَلِّدًا، وَاللَّهُ سَائِلُكَ مِنْ أَمْرِنَا مَا افْتَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّنَا، وَلَا يَزَالُ يَقْدُم عَلَيْنَا مِنْ يَنْوِءُ بِعِزِّكَ، وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ، فَيَحْصِدُنَا حَصْدَ السَّنْبِلِ، وَيَدُوسُنَا دُوسَ الْبَقْرِ، وَيَسُومُنَا الْخَسِيسَةَ، وَيَسْلُبُنَا الْجَلِيلَةَ، هَذَا بَسْرُ بَنِ أَرْطَاةٍ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ، فَقَتَلَ رَجَالِي، وَأَخَذَ مَالِي، وَلَوْلَا الطَّاعَةُ، لَكَانَ فِينَا عِزٌّ وَمَنْعَةٌ، فَأَمَّا عِزْلَتُهُ عَنَّا فَشَكَرْنَاكَ، وَإِنَّمَا لَا فَكْفَرْنَاكَ».

فقال معاوية: أتهدِّدني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب^(١) أشرس، فأردك إليه ينفذ فيك حكمه.

فأطرقت تبكي، ثم أنشأت تقول:

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى جِسْمٍ^(٢) تَضَمَّنَهُ

قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا

قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلًا

فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال لها معاوية: ومن ذاك^(٣)؟

قالت: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَام)».

قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

(١) القتب: الرجل الصغير على قدر السنام (لسان العرب ٢ ص: ٦٦١ باب: قتب).

(٢) في العقد الفريد: روح.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٧ ص: ١١٩ إلى ص: ١٢٧.

قالت: «قدمت عليه في رجل ولّاه صدقتنا، فكان بيني وبينه ما بين الغث^(١) والسمين، فأتيت علياً لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجده قائماً يصلي، فلما نظر إليّ انفتل من صلاته، ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟

فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم، إنني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَافُفُوا أَلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَعْوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣)،
﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٤).

إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام.

فأخذته منه، فوالله ما ختمه بطين، ولا خزمه^(٥) بخزام، فقرأته.

فقال معاوية لها: هيهات، هيهات، لقد لمظكم^(٦) ابن أبي

(١) الغث: الرديء من كل شيء (لسان العرب ٣ ص: ١٧١ باب: غث).

(٢) سورة الاعراف آية رقم: ٨٥.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم: ٣٦.

(٤) سورة هود آية رقم: ٨٦.

(٥) خزمه: شكه وثقبه، أي: أقفله (لسان العرب ١٢ ص: ١٧٤ باب: خزم).

(٦) لمظكم: عودكم وعلمكم (لسان العرب ٧ ص: ٤٦٢ باب: لمظ).

طالب الجراءة على السلطان، فبطيئاً ما تפטّمون، وغرّكم قوله:

فلو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة

ومثل همدان سنّي^(١) فتحة الباب

كالهندواني^(٢) لم تفلل مضاربه

وجه جميل وقلب غير وجّاب^(٣)

ثم قال: اكتبوا لها برد ما لها، والعدل عليها.

قالت: «إليّ خاصة أم لقومي عامة؟»

قال: ما أنت وقومك؟!

قالت: «هي والله إذن الفحشاء واللؤم، إن كان عدلاً فشاملاً،

وإلا فأنا كسائر قومي».

قال: اكتبوا لها ولقومها^(٤) بحاجتها، واصرفوها إلى بلدها

غير شاكية.

(١) سنّي: سهل (لسان العرب ١٤ ص: ٤٠٤ باب: سنا.

(٢) الهندواني: السيف إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله (لسان العرب ٣ ص:

٤٣٨ باب: هند.

(٣) وجّاب: خائف متهيّب (القاموس المحيط ١ ص: ١٣٦، مجمع البحرين ٢ ص:

١٧٩ باب: وجب.

(٤) بلاغات النساء ص: ٣٠، العقد الفريد ١ ص: ٣٤٤، أعلام النساء ٢ ص: ٢٧٠،

أعيان النساء ص: ٢٤٥، رياحين الشريعة ٤ ص: ٣٥١، الفصول المهمة لابن الصباغ

المالكي ص: ١٢٩.

صفية

عمّة النبي ﷺ والمحامية عنه



هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، أديبة عاقلة، وشاعرة فصيحة، وهي من أهل الأدب والشعر والفصاحة، والشجاعة والجهاد، اكتنفها المجد الهاشمي اكتنافاً؛ فأبوها: عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وزعيم قريش وسيدها المطاع، وأمها: هالة بنت وهب، أخت آمنة بنت وهب، والدة الرسول ﷺ. وزوجها الثاني: العوام بن خويلد، أخو خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وثالث النساء الأربع الكاملات. وأخوها: حمزة بن عبد المطلب أسد الله، وسيد شهداء الرسالة.

وهي أم الزبير بن العوام^(١)، توفيت سنة ٢٠هـ في خلافة

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، كان من ناصري أمير المؤمنين ﷺ وشيعته قبل أن ينحرف عنه ويعاديته، فهو أحد الأربعة الذين استجابوا لأمر المؤمنين ﷺ لما دعاهم بعد وفاة النبي ﷺ لأخذ حقه، كما أنه وهب حقه يوم الشورى لأمر المؤمنين ﷺ، وهو أحد الذين شهدوا على وصية فاطمة ﷺ كما شهد دفنها ليلاً، وهو الذي اخترط سيفه دفاعاً عن أمير المؤمنين ﷺ لما أخرج من منزله ملبياً، عرف بالشجاعة في أيام النبي ﷺ واشترآه في الغزوات معه، سعى ابنه عبدالله في عدول أبيه عن أمير المؤمنين ﷺ فكان سبباً في انحرافه عنه ﷺ، وجاء عنه ﷺ: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى شب ابنه عبدالله، قتله ابن جرموز غدرًا في وادي السباع، وله خمس وسبعون سنة، وأتى عمرو علياً بسيف الزبير وخاتمه، فقال علي ﷺ: سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

عمر بن الخطاب، ولها من العمر ٧٣ سنة، ودفنت بالبقيع^(١). ولمّا بعث الله نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق، كانت صفية بنت عبدالمطلب في الرعيل الأول من المؤمنين المصدّقين، فجمعت سوّد الحسب، وعزّ الإسلام.

انضمّت صفية بنت عبدالمطلب إلى موكب النور، وعانت ما عاناه المسلمون السابقون من بأس قريش وعنتها وطغيانها، فلمّا أذن الله لنبيه والمؤمنين معه بالهجرة إلى المدينة خلّفت السيدة الهاشميّة وراءها مكة بكل ما لها فيها من الذكريات، وضروب المفاخر والمآثر ويممت وجهها شطر المدينة، مهاجرة بدينها إلى الله ورسوله.

وهي من النساء المسلمات المشاركات في الجهاد، خرجت مع جند المسلمين يوم أحد، فجعلت تنقل الماء، وتروي العطاش، وتبري السهام، وتصلح القسيّ، وتطب وتداوي.

ولما رأت المسلمين ينكشفون عن رسول الله ﷺ إلا قليلاً منهم، ووجدت المشركين يوشكون أن يصلوا إلى النبي ﷺ ويقضوا عليه، طرحت سقاءها أرضاً، وهبت كاللبوة التي هوجم أشبالها، وانتزعت من يد أحد المنهزمين رمحه، ومضت تشق به الصفوف، وتضرب بسنانه الوجوه، وتزأر في المسلمين قائلة: «ويحكم، أنهزمت عن رسول الله؟!»

وبعد ما انتهت وقعة أحد التي قُتل فيها أخوها الحمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ومُثل به، قالت: «بلغني أنّه مُثل

(١) نزّه الفضلاء ١ ص: ١٤٥، البداية والنهاية ٧ ص: ١٠٤.

بأخي، وذلك في الله قليل، فما أرضانا بقضاء الله، والله لأصبرنَّ،
ولأحسبنَّ إن شاء الله».

ويوم الأحزاب، وما أدراك ما يوم الأحزاب، روى ابن حجر في الإصابة، من رواية أمّ عروة بنت جعفر بن الزبير، عن جدتها صفية، قالت: «إنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا خرج إلى الخندق، جعل نساءه في أطم يقال له فارع، وجعل معهنَّ حسان بن ثابت، فجاء رجل من اليهود فرقى الحصن حتَّى أطل علينا، فقلت لحسان: قم فاقتله.

فقال حسان: لو كان ذلك فيَّ كنت مع رسول الله ﷺ.

قالت صفية: فقمْتُ إليه فضربتُه حتَّى قطعت رأسه، فقلت لحسان: قم فاسلبه وارمي رأسه لليهود وكانوا أسفل الحصن. فقال حسان: والله لن أفعل.

فأخذت صفية رأسه فرمت به عليهم، فخاف اليهود وقالوا: قد علمنا أنَّ محمداً لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحداً، فتفرَّقوا».

كانت صفية بنت عبدالمطلب أديبة، واعظة، فاضلة، أنشدت في الوفاء فقالت:

إذا ما خلت من أرض كد أحبتي

فلا سال واديها ولا اخضرَّ عودها

وقالت في الفخر أيضاً:

نحن حفرنا للحجيج زمزماً

سقيا نبي الله في المحرم

ولها أيضاً:

ألا مَنْ مبلغ عني قريشاً

ففيهم الأمر فينا والأمار

لنا السلف المقدم قد علمتم

ولم توقد لنا بالغدر نار

وكلّ مناقب الخيرات فينا

وبعض الأمر منقصة وعار

وقالت ترثي أباه:

أرقت لصوت نائحة بليل

على رجل بقارعة الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعي

على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغد

له الفضل المبين على العبيد

على الفيّاض شيبة ذي المعالي

أبيك الخير وارث كل جود

صدوق في المواطن غير نكس
 ولا شخت المقام ولا سنيد
 طويل الباع أروع شيطمي
 مطاع في عشيرته حميد
 رفيع البيت أبلج ذي فضول
 وغيث الناس في الزمن الحرود
 كريم الجدل ليس بذي وصوم
 يروق على المسود والمسود
 عظيم الحلم من نفر كرام
 خضارمة ملاوثة أسود
 فلو خلد امرؤ لقديم مجد
 ولكن لا سبيل إلى الخلود
 لكان مخلصاً أخرى الليالي
 لفضل المجد والحسب التليد
 ومن رثائها لأخيها الحمزة:
 فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
 بكاءً وحزناً محضري ومسيري
 فيا ليت شلوي يوم ذاك وأعظمي
 لدى أضبع تقتادني ونسور

وقالت في رثاء النبي ﷺ:

يا عين جودي بدمع منك منحدر
ولا تملّي وابكي سيّد البشر
ابكي الرسول فقد هدّت مصيبتّه
جميع قومي وأهل البدو والحضر
ولا تملّي بكاك الدهر معولة
عليه ما غرد القمري في السحر

وقالت في رثائه ﷺ أيضاً:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا معلمًا
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده
ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد
وما خفت من بعد النبي المكاويا
فدّى لرسول الله أُمّي وخالتي
وعمي وأبائي ونفسي ومالي
فلو أنّ رب الناس أبقي نبينا
سعدنا ولكن أمره كان ماضيًا

عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أَيْتمته وتركته
يبكي ويدعو جده اليوم نائيا
وقالت في رثائه ﷺ أيضاً:
لفقد رسول الله إذ حان يومه
فيا عيني جودي بالدموع السواجم
وقالت ترثيه أيضاً:
إِنَّ يوماً أَتَى عَلَيْكَ
كَوَّرت شمسهُ وَكان مُضِيئاً
وتعد صَفِيَّةٌ مِنَ الراويات عَنِ النبي ﷺ، ذكرها البرقي
وغيره^(١).

(١) أسد الغابة ٥ ص: ٤٩٢، أعيان الشيعة ٧ ص: ٣٩٠، الإصابة ص: ٣٤٨،
الأعلام للزركلي ٣ ص: ٢٠٦ (نقلاً عن: ذيل المذيل ص: ٦٩، المحبر ص: ١٧٢،
سمط الآلي ص: ١١٨، رغبة الأمل ٧ ص: ٩٦، الدر المنثور ص: ٢٦١)، تنقيح
المقال ٣ ص: ٨١، رجال البرقي ص: ٨١، رياحين الشريعة ٤ ص: ٣٤٣ و٣٦٥،
طبقات ابن سعد ٨ ص: ٤١، معجم رجال الحديث ٢٣ ص: ١٩٤.

فضة

خادمة الزهراء عليها السلام الناطقة بالقرآن



هي فضة النوبية، تلميذة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وخادمتها، عاشت معها وفي بيتها لتشاركها في معظم ظروفها وأحزانها، والمصائب التي حلت بها، وسميت فضة النوبية، نسبة إلى بلاد النوبة في الحبشة، وهي بنت لبعض ملوك الحبشة، قيل إنها جاءت مع جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه بعد عودته من الحبشة، فأهداها إلى رسول الله ﷺ، وقيل اشتراها وأعطها ابنته الزهراء عليها السلام لتكون خادمة لها.

كانت على درجة عالية من الإيمان والتقوى، والزهد والورع، ومحبتها لأهل البيت عليهم السلام معروفة ومشهورة، وبلاغتها وحسن منطقها لا يخفى على الكثير. ويستفاد من بعض الكتب أنها كانت بنت أحد ملوك الهند^(١).

كانت خادمة مخلصة لفاطمة الزهراء عليها السلام، وعرفت من خدمتها صفاء العقيدة، وكمال الإيمان، والإخلاص العميق،

(١) جاء في بحار الأنوار ج ٣٥ ص: ٨٦ حسب رواية غير مشهورة: أنها بربرية الأصل، كذلك ذكر صاحب كتاب سفينة البحار الشيخ عباس القمي، وقيل إنها من النوبة في الحبشة، والله العالم.

حتى توفيت الزهراء عليها السلام فانتقلت إلى خدمة تاليتها ونائبها وبنيتها الصديقة الصغرى الحوراء زينب عليها السلام، فوازرتها وشاركتها في الأفراح والمصائب، وشهدت معها ومع أهل بيت الرسالة مصيبة الطف الدامية، وعاشت واقعة كربلاء بكل أبعادها، ورافقت أهل بيت الرسالة أسيرة من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ثم إلى المدينة، ثم منها إلى الشام في الرجوع الثاني، وأقامت هناك حتى توفيت السيدة زينب عليها السلام، فلم تزل مجاورة لقبرها حتى توفيت ودفنت هناك، وقبرها معروف بالشام في مقبرة الباب الصغير (الفواطم)، وهو قبر شريف تستجاب عنده الدعوات.

قامت فضّه بخدمة الزهراء عليها السلام ولم ترضَ الزهراء عليها السلام إلا أن تكون شريكها في العمل، فشاركتها في الأعمال المنزلية، وشاظرتها وشاركتها في المسرات والهموم، والصالحات والملمات مدة من الزمن، فتجلّت في فضّة خصال سيدتها الجليلة فاطمة الزهراء عليها السلام، من تقوى وعبادة وزهد وغير ذلك، حتى بلغت مرتبة لا تدانيها امرأة من الأمة.

وتتلمذت على يد فاطمة الزهراء عليها السلام، فعرفت أحكام الدين، ومعاني القرآن الكريم ورموزه، حتى أنّها بقيت مدة طويلة من الزمان لا تتكلم إلا بالقرآن.

انبهر بها عمر بن الخطاب فقال كما روى الجاحظ: شعرة من آل أبي طالب أفقه من عمر.

ودعا لها أمير المؤمنين عليه السلام لشدة إيمانها وإخلاصها

لفاطمة الزهراء عليها السلام فقال: «اللهم بارك لنا في فضّتنا». وقال عنها الإمام الصادق عليه السلام: «شاركت فضّة النوبية سادتها في نزول سورة الإنسان».

وقالت عنها الكاتبة السورية زينب الفوازيه: ممن نزلت فيهم سورة الإنسان، فساوت نفسها بسيدتها، فنالت بذلك فخراً لم ينله غيرها من نساء العرب.

لها منزلة عظيمة عند أهل البيت عليهم السلام، ولقد شاركتهم في نزول سورة الإنسان، وقالت في مرض الحسنين: «لإن برئ سيدي مما بهما صمت لله ثلاثاً شكراً»^(١).

وفي وفاة السيدة الزهراء عليها السلام أن الأمير لمّا هم بعقد الرداء، نادى على أبنائه، وذكر معهم فضّة^(٢).

وكذلك فإنّ السيدة الزهراء عليها السلام أوصت الأمير عليه السلام حين وفاتها أن لا يُبلغ ولا يُعلم إلاّ بعض الأشخاص، ومنهم فضّة^(٣).

وكانت عالمة بالعلوم الغريبة، وقد روى الطبرسي أنّها كان لديها ذخيرة من الاكسير فصنعت النحاس سبيكة ذهب لأمر المؤمنين عليهم السلام فأراها الأمير كنوز الأرض، وقصّتها:

لمّا دخلت بيت الزهراء عليها السلام لم تجد إلاّ السيف والدرع والرحى، وكانت بنت ملك الهند، وكان عندها ذخيرة من

(١) بحار الأنوار ج ٣٥ ص: ٢٣٧ - ٢٥٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص: ١٧٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص: ٢٠٨.

الإكسير، فأخذت قطعة من النحاس وألانتها وجعلتها على هيئة سبيكة، وألقت عليها الدواء، وصنعته ذهباً، فلما جاء أمير المؤمنين عليه السلام وضعتها بين يديه، فلما رآها قال: «أحسنتي يا فضة، لكن لو أذبتني الجسد لكان الصبغ أعلى، والقيمة أعلى».

فقلت: «يا سيدي، تعرف هذا العلم؟!»

قال عليه السلام: «نعم، وهذا الطفل يعرفه» (وأشار بيديه للحسين عليه السلام وقيل للحسن عليه السلام)، فقال كما قال أبوه. ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن نعرف أعظم من هذا»، ثم أوماً بيده فإذا عنق من ذهب وكنوز الأرض سائرة، فقال: «ضعيها مع أخواتها»، فوضعتها فسارت ^(١).

◀ قصتها مع الزهراء عليها السلام:

جاء في تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمد عليه السلام، وتفسير القشيري عن جابر الأنصاري أنه: رأى النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة».

فقلت عليها السلام: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه».

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص: ٢٧٣.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١).

فلما خرج رسول الله ﷺ من عند فاطمة عليها السلام أنزل الله على رسوله: ﴿وَمَا نُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾^(٢).

فلما نزلت هذه الآية، أنفذ رسول الله ﷺ جارية إليها للخدمة، وسمّاها فضة.

◀ قصّة هذا الحوار:

كانت فضة ممن قذف الله في قلبها العلم، فكانت امرأة ذكيّة حادة الذكاء، عاشت مع سيدتها فاطمة الزهراء عليها السلام فحفظت سجايها، وتأثرت بشأئها وصفاتها، وأدركت معنى العبودية لله لما عرفت من عظمته سبحانه وتعالى في عين سيدتها ومولاتها فاطمة الزهراء عليها السلام، التي هي خير نساء العالمين وهي بضعة الرسول ﷺ التي قال فيها: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن أغضبها فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله».

وقال ﷺ عنها: «إن الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها».

وقال عنها ﷺ أيضاً وهو يوصي بها علياً: «يا علي إن فاطمة بضعة مني، ونور عيني، وثمرة فؤادي، يسوؤني ما

(١) سورة الضحى آية رقم: ٥.

(٢) سورة الاسراء آية رقم: ٢٨.

ساءها، ويسرني ما سرها».

لقد أحببت فضة سيدتها الزهراء عليها السلام وكانت تتابع باهتمام التصاقها بالله سبحانه وتعالى، وانقطاعها وتبتلها إليه حتى سميت بالبتول، وكانت تراقب بصمت أعمال السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وتستمع باهتمام شديد إلى أحاديث أبيها الرسول ﷺ وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام إليها، وكانت دائماً تنصت إلى الزهراء عليها السلام وتحاول أن تستفيد منها، فما وجدت أحب إلى الزهراء عليها السلام من صلاة ربها، وقراءة كتابه المنزل على نبيه المرسل محمد ﷺ، ولذلك قررت فضة أن تحفظ كتاب الله وأن لا تنطق إلا به، لكي تصون نفسها عن الغلط والفحش.

وهكذا كان، فقضت عشرين سنة وقيل أربعين سنة، لا تتكلم بغير القرآن إذا اضطرت للكلام، وكانت في جميع أوقاتها صامتة متفكرة عابدة، تخشى الله كأنها تراه، وكيف لا وهي ترى سيدتها الزهراء عليها السلام -والتي هي على ما هي عليه من الشأن- إذا وقفت بين يدي ربها تبكي وترتعد كل فرائصها، فكيف تكون فضة؟!

◀ حوارها بالقرآن:

(١)

قال أبو القاسم القشيري في كتابه: قال بعضهم انقطعت في البادية عن قافلة فوجدت امرأة فقلت لها: من أنت؟!

فقالت: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فسلمت عليها وقلت: ما تصنعين ههنا؟

قالت: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾^(٢).

فقلت: أمن الجن أنت أم من الأنس؟

قالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(٣).

فقلت: من أين أقبلت؟

قالت: ﴿يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٤).

فقلت: أين تقصدين؟

قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾^(٥).

فقلت: متى انقطعت؟

قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٦).

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾^(٧).

فأطعمتها ثم قلت: هرولي ولا تعجلي..

(١) سورة الزخرف آية رقم: ٨٩.

(٢) سورة الزمر آية رقم: ٣٧.

(٣) سورة الاعراف آية رقم: ٣١.

(٤) سورة فصلت آية رقم: ٤٤.

(٥) سورة آل عمران آية رقم: ٩٧.

(٦) سورة ق آية رقم: ٣٨.

(٧) سورة الأنبياء آية رقم: ٨.

قالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

فقلت: أردفك؟

فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾^(٢).

فنزلت فأركتبها، فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣).

فلما أدر كنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟

قالت: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٥)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُذْ الْكِتَابَ﴾^(٦)، ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾^(٧).

فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت من هؤلاء منك؟

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٨).

فلما جاء أبناؤها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٩).

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٨٦.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم: ٢٢.

(٣) سورة الزخرف آية رقم: ١٣.

(٤) سورة ص آية رقم: ٢٦.

(٥) سورة آل عمران آية رقم: ١٤٤.

(٦) سورة مريم آية رقم: ١٢.

(٧) سورة النمل آية رقم: ٩.

(٨) سورة الكهف آية رقم: ٤٦.

(٩) سورة القصص آية رقم: ٢٦.

فكافؤني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

فزادوا عليّ، فسألتهم عنها، فقالوا: هذه أمانة فضه جارية الزهراء عليها السلام، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن.

(٢)

قال عبدالله المبارك^(٢): خرجت يوماً إلى الحج فبينما أنا في بعض الطريق فإذا أنا بسواد يلوح فإذا هي عجوز فقلت: السلام عليك.

قالت: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(٣).

فقلت: يرحمك الله ماذا تصنعين في هذا المكان؟

قالت: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾^(٤).

فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت: أين تريدن؟

قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾^(٥).

فعلمت أنها قضت حجّها وتريد بيت المقدس فقلت لها:

أنت منذ كم في هذا الموضع؟

فقالت: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(٦).

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٦١.

(٢) زهر الربيع، منهاج الصالحين ص: ١٨٠.

(٣) سورة يس آية رقم: ٥٨.

(٤) سورة الأعراف آية رقم: ١٨٦.

(٥) سورة الاسراء آية رقم: ١.

(٦) سورة مريم آية رقم: ١٠.

- قلت: أَمَعَكَ طَعَامٌ تَأْكُلِينَ؟
 قالت: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾^(١).
 قلت: فَبَأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَضَّئِينَ؟
 قالت: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٢).
 قلت: إِنَّ مَعِيَ طَعَامًا فَهَلْ تَأْكُلِينَ؟
 قالت: ﴿ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٣).
 قلت: لَيْسَ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ؟!
 قالت: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٤).
 قلت: قَدْ أُبِيحَ لَنَا الْإِفْطَارُ فِي السَّفَرِ.
 قالت: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥).
 قلت: فَلَمْ لَا تَتَكَلَّمِينَ مِثْلَ كَلَامِي؟
 قالت: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٦).
 قلت: مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتِ؟
 قالت: ﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَ
 الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٧).

(١) سورة الشعراء آية رقم: ٧٩.

(٢) سورة النساء آية رقم: ٤٣.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٨٧.

(٤) سورة البقرة آية رقم: ١٨٤.

(٥) سورة البقرة آية رقم: ١٨٤.

(٦) سورة ق آية رقم: ١٨.

(٧) سورة الإسراء آية رقم: ٣٦.

قلت: قد أخطأت فاجعليني في حل.
 قالت: ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

قلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي؟
 قالت: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٢).
 فغضضت بصري عنها، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة
 فخرقت ثيابها فقالت: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِيكُمْ﴾^(٣).

فقلت لها: اصبري حتى أعقلها.
 قالت: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(٤).
 فشددت لها الناقة وقلت: اركبي..
 فركبت وقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
 مُقْرِنِينَ﴾^(٥).

قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح، فقالت:
 ﴿وَاقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(٦).
 فجعلت أمشي رويداً وأترنم بالشعر فقالت: ﴿فَاقْرَأْ مَا

(١) سورة يوسف آية رقم: ٩٢.

(٢) سورة النور آية رقم: ٣٠.

(٣) سورة الشورى آية رقم: ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء آية رقم: ٧٩.

(٥) سورة الزخرف آية رقم: ١٣.

(٦) سورة لقمان آية رقم: ١٩.

تَيَسَّرَ مِنَ الْفَرَّانِ ﴿١﴾.

فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً.

قالت: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢﴾.

فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج؟

قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِئَةٌ﴾ ﴿٣﴾.

فسرت حتى أدركت القافلة فقلت لها: أهذه هي القافلة؟
فمن لك فيها؟

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٤﴾.

فعلمت أن لها أولاداً فقلت: فما شأنهم في الحج؟

قالت: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٥﴾.

فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعماريات
وقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟

قالت: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿٦﴾

و﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿٧﴾

(١) سورة المزمل آية رقم: ٢٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٦٩.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ١٠١.

(٤) سورة الكهف آية رقم: ٤٦.

(٥) سورة النحل آية رقم: ١٦.

(٦) سورة النساء آية رقم: ١٢٥.

(٧) سورة النساء آية رقم: ١٦٤.

و﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾^(١).

فناديت: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى.

فإذا بشباب كأنهم الدنانير قد أقبلوا، فلما استقر بهم
الجلوس قالت: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ
أَيُّهَا أَرْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾^(٢).

فمضى أحدهم واشترى طعاما فقدموه إليها فقالت: ﴿كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(٣).

فقلت: ألا إن طعامي حرام عليّ حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا: إنها فضّه خادمة الزهراء عليها السلام أمنا، منذ أربعين
سنة لا تتكلم إلّا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن.

(٣)

عن ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجتُ حاجًّا إلى بيت
الله الحرام، راجياً لثواب الله ربّ العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا
أنا بجارية سمراء مليحة الوجه عذبة الكلام، وهي تنادي
بفصاحة منطقها وتقول:

«ربّ البيت الحرام، والحفظة الكرام، وزمزم والمقام،
والمشاعر العظام، وربّ محمّد خير الأنام صلى الله عليه وآله
البررة الكرام، أن تحشرنى مع ساداتي الطاهرين، وأبنائهم الغرّ

(١) سورة مريم آية رقم: ١٢.

(٢) سورة الكهف آية رقم: ١٩.

(٣) سورة الحاقة آية رقم: ٢٤.

المحبّلين الميامين، ألا فاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين، أنّ موالِيَّ خيرة الأخيار، وصفوة الأبرار، الذين علا قدرهم على الأقدار، وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار، المرتدين بالفخار». فقلتُ: يا جارية إنِّي لأظنّك من موالِي أهل البيت. فقالت: «أجل».

فقلت لها: ومَنْ أنتِ من موالِيهم؟ قالت: «أنا فضّة، أمة فاطمة الزهراء، بنت محمّد المصطفى صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها». فقلت لها: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، فلقد كنتُ مشتاقاً إلى كلامِك ومنطقِك، فأريدُ منك الساعة أن تجيبيني عن مسألة أسألك، فإذا أنتِ فرغتِ من الطواف، قفي لي عند سوق الطعام حتّى آتيك، وأنتِ مثابة مأجورة.

فافترقنا في الطواف، فلمّا فرغتُ من الطواف وأردتُ الرجوع إلى منزلي جعلتُ طريقي على سوق الطعام، وإذا أنا بها جالسة في معزل عن الناس، فأقبلتُ عليها واعتزلتُ بها وأهديتُ إليها هدية ولم أعتقد أنّها صدقة، ثمّ قلت لها: يا فضّة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء، وما الذي رأيتَ منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمّد ﷺ؟

فلمّا سمعتُ كلامي، تغرّغت عيناها بالدموع، ثمّ انتحبت باكية وقالت: «يا ورقة هيّجت عليّ حزناً ساكناً، وأشجاناً في فؤادي كانت كامنة، فاسمع الآن ما شاهدتُ منها:

اعلم أنه لما قبض رسول الله ﷺ افتجع له الصغير والكبير، وكثر عليه البكاء، وقلّ العزاء، وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب، والأولياء والأحباب، والغرباء والأنساب، ولم تلق إلا كل باك وباكية ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء والأحباب أشدّ حزناً وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة، وكان حزنها يتجدد ويزيد وبكاؤها يشتدّ، فجلست سبعة أيام لا يهدأ لها أنين ولا يسكن منها الحنين، وكلّ يوم جاء كان بكائها أكثر من اليوم الأوّل، فلمّا كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت، فكانت من فم رسول الله ﷺ تنطق.

تلك هي فضّه خادمة الزهراء ع، فقد بارك الله فيها وجعلها من القدوات الصالحات، فنعم الفضّه هي.

عكرشة

المقاتلة بالكلمات القاصمة يوم صفين



من ربّات الفصاحة والبلاغة، وقوّة الحجّة، محبّة وموالية
لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حضرت صفين في
معسكره عليه السلام، وخطبت بها خطباً بليغة، شجّعت الرجال
على القتال، فانبرت هاتفة بعنفوان: «لستم لنا ببعولة إن لم
تمنعوا عنا هؤلاء الأعجاج»، فكانت دعوتها دعوة للذود عن
الشرف الرفيع، ولتكون كلمة الله هي العليا.

وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، واغتصاب معاوية الخلافة
دخلت عكرشة على معاوية وأسمعته كلاماً قارصاً^(١).

روى ابن طيفور في بلاغات النساء عن العباس بن بكار،
عن أبوبكر الهذلي وعبدالله بن سليمان، عن عكرمة، عن
المقدمي بإسناده عن الشافعي، قالوا: دخلت عكرشة بنت
الأطرش على معاوية ويدها عكاز في أسفله زجّ مسقى^(٢)،
فسلّمت عليه بالخلافة وجلس.

فقال لها معاوية: يا عكرشة الآن صرّ أمير المؤمنين؟!
قالت: «نعم، إذ لا عليّ حي».

(١) أعلام النساء ٣: ص: ٣٢٢.

(٢) الزّجّ: الحديدية التي تُركّب في أسفل الرمح (الصّحاح ١: ص: ٣١٨، لسان
العرب ٢: ص: ٢٨٥ باب: زجج.

قال: ألسِتِ صاحبة الكور^(١) المسدول^(٢)، والوسيط المشدود، والمتقلّدة بحمائل السيف، وأنتِ واقفة بين الصّفين يوم صّفين، تقولين:

«يا أيّها الناس، عليكم أنفسكم، لا يضركم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتم، إنّ الجنّة دار لا يرحل عنها مَنْ قطنها، ولا يحزن مَنْ سكنها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، فكونوا قوماً مستبصرين في دينهم، مستظهرين بالصبر على طلب حقّهم.

إنّ معاوية دلف^(٣) إليكم بعجم^(٤) العرب، غلف القلوب^(٥)، لا يفقهوا الإيمان، ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه.

فالله الله عباد الله، في دين الله، وإياكم والتواكل، فإنّ ذلك نقض عروة الإسلام، وإطفاء نور الإيمان، وذهاب السنّة، وإظهار الباطل.

هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى، قاتلوا يا معشر

(١) كار العمامة على رأسه يكورها كوراً: لأنّها: أي دارها (الصحيح ٢ ص: ٨٠٩ باب: كور.

(٢) سدل ثوبه يسدله بالضّم سدلاً: أي أرخاه (الصحيح ٥ ص: ١٧٢٨ باب: سدل.

(٣) دلف: مشى وقارب الخطو (الصحيح ٤ ص: ١٣٦٠، لسان العرب ٩ ص: ١٠٦ باب: دلف.

(٤) العُجم: البهائم (لسان العرب ١٢ ص: ٣٨٩ باب: عجم.

(٥) القلب الأغلف: الذي عليه غشاء عن سماع الحقّ وقبوله (الصحيح ٤ ص: ١٤١٢، لسان العرب ٩ ص: ٢٧١ باب: غلف.

الأنصار والمهاجرين على بصيرة من دينكم، واصبروا على عزيبتكم، فكأنّي بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة، والبغال الشحاجة^(١)، تصقع^(٢) صقع البقر، وتروث روث العتاق^(٣)».

فقال معاوية: فكأنّي أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران، يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فما حملك على ذلك؟

قالت: «يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٤).

وإنّ اللبيب إذا كره أمراً لم يُحبّ إعادته».

قال: صدقت، أذكرني حاجتك.

قالت: «يا أمير المؤمنين إنّ الله قد ردّ صدقتنا علينا، وردّ أموالنا فينا إلّا بحقّها، وإنّا قد فقدنا ذلك، فما يُنعش لنا فقير، ولا يُجير لنا كسير، فإن كان ذلك عن رأيك فما مثلك من استعان بالخنونة، ولا استعمل الظالمين».

قال معاوية: يا هذه إنّهُ تنوبنا من أمور رعيّتنا أمور تنبثق^(٥)،

(١) شحيج البغل: صوته (الصحاح ١ ص: ٣٢٣ باب: شحج.

(٢) الصقع: رفع الصوت (لسان العرب ٨ ص: ٢٠٣ باب: صقع.

(٣) فرس عتيق: أي رائع كريم (الصحاح ٤ ص: ١٥٢١ باب: عتيق.

(٤) سورة المائدة آية رقم: ١٠١.

(٥) تنبثق: تنفجر (الصحاح ٤ ص: ١٤٤٨ باب: بثق.

وبحور تنفهم^(١).

قالت: «يا سبحان الله، ما فرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا، ما جعله لنا وهو علام الغيوب».

قال معاوية: هيهات يا أهل العراق، فقهم ابن أبي طالب فلم تطاقوا، ثم أمر لها بردّ صدقتها وإنصافها، وردّها مكرمة^(٢).

وروي ذلك أيضاً ابن عبد ربّه في العقد الفريد ضمن الوافدات على معاوية عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، مع اختلاف في الألفاظ^(٣).

(١) تنفهم: تنفتح وتتسع (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ ص: ٤٨٢ باب: فهم).

(٢) بلاغات النساء ص: ٧٠.

(٣) العقد الفريد ١ ص: ٣٥١ (رياحين الشريعة ٤ ص: ٣٨٣، أعيان النساء ص: ٣٢٤، أعلام النساء ٣ ص: ٣٢٥).

عمرة

زوجة المختار الثابتة الشهيذة



هي عمرة بنت النعمان بن بشير، زوجها المختار بن أبي عبيد الثقفي، كنيته أبو الحكم، ولد في السنة الأولى من الهجرة في الطائف، وهو من أكابر ثقيف، ومن ذوي الرأي، والفصاحة والشجاعة، وعرف بالميل إلى بني هاشم.

وقف إلى جانب مسلم بن عقيل في الكوفة، ودعا الناس للالتحاق بالحسين عليه السلام ونصرته، وجمع جماعة من المؤمنين لأهل البيت عليهم السلام لنصرة الحسين عليه السلام، إلا أن ابن زياد ألقى عليه القبض وأودعه السجن، وظلّ محبوساً حتى انتهاء واقعة الطف.

أبوها: النعمان بن بشير، والي يزيد على الكوفة قبل عبيد الله بن زياد، وقائد ركب بنات رسول الله ﷺ في رحلة عودتهم إلى كربلاء من الشام، وهو كان والياً على الكوفة حينما دخلها سفير الحسين مسلم بن عقيل، ولم يتخذ ضد مسلم اجراءات قمعية كما كان يرغب الأمويون، فعزله يزيد عن ولاية الكوفة وولى عبيد الله بن زياد مكانه، وحينما سمع النعمان مقالة الأمويين عنه أنه ضعيف أو متضعف، قال: لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصيته^(١).

(١) زينب عقيلة بني هاشم لعبد العزيز سيد الأهل ص: ١٠٠.

وخلافاً للمعاملة الخشنة التي عانت منها قافلة السبايا في مسيرهم إلى الشام من الكوفة، فقد كان هذا المكلف بركبهم في عودتهم إلى المدينة لبقاً في التعامل ليناً في أخلاقه معهم، فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم^(١).

فلَمَّا وصلوا إلى المدينة أرادت العقيلة زينب عليها السلام مكافأته على حسن تعامله وجميل صنعه، ولم يكن لديها مال تقدمه إليه، فعمدت إلى بعض ما تبقى من حلي لدى أختها فاطمة وقدمته إليه معتذرة قائلة: «هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل».

فتأثر الرجل من مبادرة السيدة زينب عليها السلام واعتذر عن قبولها قائلاً: لو كان الذي صنعت إنما هو للعالم كان في حليكن هذا ما يرضيني دونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

◀ قصتها مع مصعب بن الزبير:

بعد مقتل زوجها أرادها مصعب بن الزبير أن تتبرأ من زوجها، فأبت ذلك، فأمر مصعب أن توضع في حفرة، ووقف السياف على رأسها شاهراً سيفه، ووقف بجانبه مصعب

(١) النعمان بن بشير وهو أنصاري مدني يكن مشاعر الإحترام لأهل البيت.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ص: ٢٦٦.

يَحْضُّهَا عَلَى أَنْ تَتَبَرَّأَ مِنْ زَوْجِهَا، فَتَارَةً يَهْدِّدُهَا بِالْقَتْلِ وَتَارَةً
يَغْرِيبُهَا بِالْمَالِ وَالْجَاهِ، وَهِيَ تَقُولُ غَيْرَ آهَةٍ لَوْعَدِهِ وَلَا مَبَالِيَةٍ
بِتَهْدِيدِهِ:

«كَيْفَ أَتَبَرَّأُ مِنْ رَجُلٍ يَقُولُ رَبِّي اللَّهُ؟! كَانَ صَائِماً نَهَارَهُ،
قَائِماً لَيْلَهُ، قَدْ بَذَلَ دَمَهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، شَهَادَةً أَرْزَقَهَا ثُمَّ أَتْرَكَهَا؟!
اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي مُتَّبِعَةٌ لِنَبِيِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَشِيعَتِهِ».

فَأَمَرَ مَصْعَبُ السِّيفِ أَنْ يَضْرِبَهَا بِالسِّيفِ، فَضَرَبَهَا ثَلَاثَ
ضُرْبَاتٍ حَتَّى مَاتَتْ، وَفِيهَا يَقُولُ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ:
قَتَلُوهَا ظُلْماً عَلَى غَيْرِ جَرَمٍ

إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ

وَيَقُولُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

فَلَا هُنَا آلُ الزَّبِيرِ مَعِيشَةٌ وَذَاقُوا

لِبَاسِ الذِّلِّ وَالْخَوْفِ وَالْحَرْبِ

كَأَنَّهُمْ إِذْ أَبْرَزُوهَا وَقَطَعْتَ

بِأَسْيَافِهِمْ فَازَوْا بِمَمْلَكَةِ الْعَرَبِ

أَلَمْ تَعْجَبِ الْأَقْوَامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنْ

الْمَحْصَنَاتِ الدِّينِ مَحْمُودَةِ الْأَدَبِ

غانمة

وصرخة حق بجوار بيت الله



غانمة بنت غانم القرشية الهاشمية، من ربّات الفصاحة
والبلاغة، والشجاعة والإقدام، ومن المؤمنات المواليات لأمر
المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والناصرات له بلسانه،
وكانت من المعمرات.

سمعت أنّ معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص لعنها
الله تعالى يسبّان علياً عليه السلام وبني هاشم، فوقفت بمكة ذلك
الموقف البطولي، وتحدّت كلّ الجابرة والطغاة أعداء أهل
البيت عليهم السلام، وقفت أمام الناس جميعاً قائلة:

«أيّها الناس، إنّ قريشاً لم تلد من لؤم ولا رقم، سادت
وجادت، وملكت فملكّت، وفضلت ففضلت، واصطفيت
فاصطفيت، ليس فيها كدر عيب، ولا أفن ريب، ولا حشروا
طاعنين، ولا حادوا نادمين، ولا المغضوب عليهم ولا الضالين.
وإنّ بني هاشم أطول الناس باعاً، وأجعد الناس أصلاً،
وأحلم الناس حلماً، وأكثر الناس عطاءً، وإنّ عبد مناف متّ،
والذي يقول الشاعر في حقّه:

كانت قُريشٌ بيضةً فتفلّقت

فالمخُ خالصها لعبدٍ منافٍ

ومنا ولده هاشم الذي يقول الشاعر عنه:

هشَمَ الثريدَ لِقَوْمِهِ وَأَجَارَهُمْ
وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عَجَافُ

ومنا عبدالمطلب الذي يقول الشاعر في حقّه:

وَنَحْنُ سَنِي الْمَحَلِّ قَامَ شَفِيعُنَا
بِمَكَّةَ يَدْعُو الْمِيَاهَ تَغْوَرُ

ومنا ولده أبوطالب سيّد بني هاشم وزعيم أولاد
عبدالمطلب، والذي يقول الشاعر في حقّه:

أَتَيْتَ مُلْكاً فَقَامَ بِحَاجَتِي
وَتَرَى الْعَلِيجَ خَائِباً مَذْمُوماً

ومنا العباس بن عبدالمطلب الذي جعله الرسول ﷺ
رديفاً له، وأعطاه من أمواله، وقال الشاعر في ذلك:

رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ
وَلَا مِثْلًا حَتَّى الْقِيَامَةِ يَوْجَدُ

ومنا حمزة سيّد الشهداء الذي قال فيه الشاعر:

أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ

ومنا جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، أحسن الناس حسناً
وأكملهم كمالاً، والذي يقول عنه الشاعر:

هاتوا كجعفرنا ومثلِ عليّنا

ألسنا أعزّ الناسِ عندَ الحقائقِ

ومنا أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام،
أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى وتنعل بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله، ومن فضائله ما قصر عنكم أنباؤها، وقال الشاعر
في حقّه:

وهذا عليّ سيّدُ الناسِ فاتّقوا

عليّاً بإسلام تقدّم من قبل

ومنا الحسن بن علي عليه السلام أحد السبطين وسيّد شباب أهل
الجنة، والذي يقول الشاعر في حقّه:
ومَنْ يَكْ جَدّه حقّاً نبيّاً

فإنّ له الفضيلة في الأنام

ومنا الحسين بن علي عليه السلام الذي ركب على ظهر جبرائيل،
ويكفيه بهذا فخراً، وقال الشاعر بحقّه:
نفى عنه عيبَ الآدميين ربّه

ومَنْ مجدهُ مجد الحسين المطهر؟!

يا معشر قریش

والله ما معاوية بأمر المؤمنين، ولا هو كما يزعم، هو والله
شأنى رسول الله، إني آتية معاوية وقائلة له بما يعرق له جبينه،
ويكثر منه عويله».



فسمع عامله في مكة بهذا الخطاب، فكتب إليه وأعلمه أنها ستأتي إلى المدينة، وعندما وصل الكتاب إلى معاوية أمر أن يهيا لها مقام كريم في دار الضيافة.

فلما بلغه أن غانمة قد قربت منه، أمر بدار الضيافة فنظفت، وألقي فيها فرش، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو ابن غانم، فقال لها يزيد: إنَّ أبا عبد الرحمن يأمرُك أن تصيري إلى دار ضيافته^(١).

فقالت وكانت لا تعرفه: «من أنت كلاك الله؟»

قال: يزيد بن معاوية.

قالت: «فلا رعاك الله يا ناقص، لست بزائد».

فتغيّر لون يزيد، فأتى أباه وأخبره الخبر، فقال معاوية: هي أسن قريش وأعظمهم.

فقال يزيد: كم تعد لها يا أمير المؤمنين؟

(١) قيل إنَّ معاوية حين علم بقدوم غانمة بنت غانم إلى دمشق لزيارة أخيها عمرو بن غانم، وكانت تكره معاوية وتهاجمه لأنه سبَّ بني هاشم، أرسل إليها ابنه يزيد ليستقبلها، فلما دخلت دمشق قال لها يزيد: إنَّ أبا عبد الرحمن يأمرُك أن تصيري إلى دار ضيافته.

فقالت وكانت لا تعرفه: من أنت كلاك الله؟

قال: يزيد بن معاوية.

قالت: لا رعاك الله يا ناقص، فتغيّر لون يزيد وأتى أباه وأخبره فقال: هي أسن قريش وأعظمهم.

ولما قابلها معاوية أخذت عليه العهود والمواثيق ألا يسبَّ بني هاشم فوافق معاوية على ذلك.

قال: كانت تعد على عهد رسول الله ﷺ أربعمئة عام، وهي من بقية الكرام.

فلما كان من الغد، أتاه معاوية فسلم عليها، فقالت: «السلام على المؤمنين والهوان على الكافرين، أيكم عمرو بن العاص؟»^(١)

قال عمرو: ها أنا ذا.

فقالت: «أنت تسب قريشاً وبني هاشم؟! وأنت أهل السب وإليك يعود السب؟! يا عمرو إني والله لعارفة بعيوبك وبعيوب أمك، وإني أذكر لك ذلك عيياً عيياً.

ولدت من أمة سوداء، مجنونة حمقاء، تبول من قيام، ويعلوها اللئام، إذا مسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفة راكبها، وفي يوم واحد ركبها أربعون رجلاً.

وأما أنت يا عمرو، رأيتك غاوياً غير راشد، ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت وما أنكرت».

ثم التفتت إلى معاوية قائلة:

«أما أنت فما كنت معاوية في خير، ولا ربيت في خير، فمالك ولبني هاشم؟

أنساء بني أمية كنسائهم؟

أم أعطي أمية مثل ما أعطي هاشم في الجاهلية والإسلام،

(١) في لفظ الجاحظ: أفيكم عمرو بن العاص؟

وكفى برسول الله فخراً؟»

فقال معاوية: أيتها الكبيرة، أنا كاف من بني هاشم.

قالت: «فإني أكتب عليك عهداً، كان رسول الله دعا ربّه أن
يستجيب لي خمس دعوات، فأجعل الدعوات كلّها فيك».
فخاف معاوية وحلف لها أن لا يسب بني هاشم أبداً^(١).

ميمونة

أمّ المؤمنين التي حثت على نصره عليّ عليه السلام



هي أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، من سادات النساء، أختها لبابة الكبرى زوجة العباس عم النبي ﷺ، وللبابة الصغرى زوجة الوليد بن المغيرة، فهي خالة ابن عباس، وخالد بن الوليد.

أمها هند بنت عوف بن زهير، أخواتها لأمها وأبيها: أم الفضل زوج العباس، وللبابة الصغرى أم خالد بن الوليد، وأخواتها لأمها: زينب بنت خزيمة الهلالية أم المؤمنين، وأسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب ثم أبي بكر ثم علي، وسلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب.

تزوجها رسول الله ﷺ بعد فراغه من عمرة القضاء سنة سبعة هجرية في ذي القعدة، فهي آخر امرأة تزوجها، كانت تعيش في مكة مع زوجها^(١) أبي رهم حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس العامري ومات عنها، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب.

ودخل بها بسرف، وهو موضع من مكة قرب التنعيم، وكان عمرها رضي الله عنها عندئذ ٢٦ سنة، بينما عمر رسول

(١) يقال: زوجها الأول: مسعود بن عمرو الثقفي، تزوجها قبيل الإسلام ثم فارقتها، وحويطب زوجها الثاني (على رواية).

الله ﷺ ٥٩ سنة، وقام بتزويجها زوج أختها العباس عم النبي ﷺ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم، ولما جاءها الخاطب بالبشرى - وكانت على بغير - رمت بنفسها من على البعير وقالت: «البعير وما عليه لرسول الله ﷺ».

وقيل: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وفيها نزلت: ﴿وَأَمْرًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ بِأَمْوَالٍ طَيِّبَةٍ يَتَزَوَّجُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ﴾ (١).

وكان هدفه ﷺ من هذا الزواج زيادة التفاهم بينه وبين قريش وإزالة الوجد من قلوبهم.

وكان اسمها برة، فسمّاها رسول الله ﷺ ميمونة، وكانت من سادات النساء، وروت عدداً من الأحاديث عن الرسول ﷺ.

كانت وفاتها سنة ٥١ للهجرة، عن عمر بلغ ٨٠ سنة، بعد عودتها من الحج بسرف ودفنت حسب وصيتها في موضع قبّتها هناك، حيث كان موتها ودفنها بسرف مكان زواجها، وصلى عليها ابن أختها عبدالله بن العباس، قالت عنها عائشة بعد وفاتها: ذهبت والله ميمونة، أما إنها كانت من أتقانا لله (٢)، وأوصلنا للرحم.

وكانت معروفة بموالاتها لأمر المؤمنين ﷺ، ومما رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين بسنده،

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ٥٠.

(٢) المقصود بالضمير زوجات النبي ﷺ.

عن جري بن كليب العامري قال: لَمَّا سار عليٌّ عليه السلام إلى صفين كرهت القتال فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث فقالت: «ممن أنت؟»

قلت: من أهل الكوفة.

قالت: «من أيهم؟»

قلت: من بني عامر.

قالت: «رحباً على رحب وقرباً على قرب، ما جاء بك؟»

قلت: سار علي إلى صفين وكرهت القتال فجئنا إلى ها هنا.

قالت: «أكنت بايعته؟»

قلت: نعم.

قالت: «فارجع إليه فكن معه، فوالله ما ضلّ ولا ضلّ به».

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

هند

الشاعرة التي رثت الشهيد حجر



جاء في تاريخ الطبري، وفي الطبقات الكبرى: هند بنت زيد بن مخزومة الأنصارية الكوفية، شاعرة من المسلمين، مؤمنة موالية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت بليغة قوية الحجة والبيان، وكانت شيعية^(١).

وقد فتحت دارها في العراق ليكون نادياً سياسياً لاجتماعات المعارضة، وكان محبّو أهل البيت عليهم السلام ومعارضو معاوية يرتادونه للتشاور وتداول الأوضاع.

قالت ترثي حجر بن عدي رحمته الله، والذي قتله معاوية بن أبي سفيان لعنة الله عليه، لأنّه كان موالياً لعلي عليه السلام:

ترفع أيها القمر المنير

تبصر هل ترى حجراً يسير^(٢)

(١) محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى.

(٢) هكذا ورد في تاريخ الطبري، وفي الطبقات الكبرى:

ترفع أيها القمر المنير
وفي الأغاني:

ترفع أيها القمر المنير
لعلك أن ترى حجراً يسير

يسير إلى معاوية بن حرب
ليقتله كما زعم الأمير^(١)
تجبرت الجبابر^(٢) بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً^(٣)
كأن لم يحبها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً^(٤)
وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقاً
له من شر أمته وزير^(٥)

(١) في الأغاني ورد بعد هذا البيت:

ألا ياليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير!

(٢) في الأغاني:

ترفعت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير

(٣) في الأغاني:

وأصبحت البلاد لها محولاً كأن لم يحبها مزن مطير لها محولاً

(٤) في الأغاني:

أخاف عليك سطوة آل حرب وشيخاً في دمشق له زئير

(٥) لم يرد هذا البيت في الطبقات الكبرى وورد في الأغاني وجاء بعده:

ألا ياليت حجراً مات موتاً ولم ينحر كما نحر البعير!

ألا ياليت حجراً مات موتاً
ولم ينحر كما نُحر البعير!
فإن تهلك فكلّ زعيم قوم^(١)
إلى هلك من الدنيا يصير^(٢)
وقالت تبكي حجر بن عدي:
دموع عيني ديمة تقطر
تبكي على حجر ولا تفر
لو كانت القوس على أسرة
ما حمل السيف له الأعور

وعن حماد بن مسعدة، عن بن عون، عن محمد، قال:
لَمَّا أَتَى بِحَجَرٍ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، قَالَ: «ادْفَنُونِي فِي ثِيَابِي، فَإِنِّي أَبْعَثُ
مُخَاصِماً»^(٣).

(١) في الطبقات الكبرى:

فإن تهلك فكلّ عميد قوم من الدتيا إلى هلك يصير

(٢) أعيان الشيعة ج ١٠ ص: ٢٧٢، أعيان النساء ص: ٦٣٠، الأغاني ج ١٧ ص: ٣٦١، تاريخ الطبري ج ٥ ص: ٢٨٠، رياحين الشريعة ج ٥ ص: ١٠١، الطبقات الكبرى ج ٦ ص: ٢٢٠.

(٣) ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٦ ص: ٢٢٠، أعلام النساء لعمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة ١٩٨٤ م ج ٥ ص: ٢٣٤، تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير تحقيق: علي مهنا طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨ م ج ٤ ص: ٥٠٠.

صدر للمؤلف:

- الإمام الحسين عليه السلام ثورة العصر.
- الرسول ﷺ الرسالي القدوة.
- فصول من الثورة الإسلامية في إيران.
- المرأة ورسالة التغيير.
- سيدات أهل الجنة.
- أضواء من الثورة الحسينية.
- الابتلاء في القرآن الكريم: النبي يوسف عليه السلام نموذج.
- علي عليه السلام القرآن الناطق.
- النظام السياسي الإسلامي (الجزء الأول).

الفهرس

- الإهداء ٩
- المقدمة ١١
- أروى .. اللسان الهاشمي الذي صدح بالحق ١٥
- الرباب .. الصابرة المجاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام ٢٧
- الزرقاء .. لسان الصدق المدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام ٣٣
- بركة .. أم النبي ﷺ بعد أمه آمنة ٤١
- أمّ البراء .. الشاعرة الموالية ٥١
- أمّ البنين .. فادية السبط الشهيد بأقمارها ٥٧
- أمّ الخير .. خطيبة يوم صفين ٦٩
- أمّ خالد .. الفائزة بكسوة النبي الأكرم ﷺ ٧٩
- أمّ رعدة .. ناعية الزهراء عليها السلام في أزقة المدينة ٨٥
- أمّ سلمة .. نصيرة أهل البيت عليهم السلام ٩١
- أمّ سليم .. المجاهدة الراوية ١٠٥
- أمّ سنان .. شاعرة معركة صفين ١١١
- أمّ شريك .. الواهبة نفسها للنبي الأعظم ﷺ ١١٧
- اللبوة الهاشمية .. الصديقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام ١٢٥
- زينب الصغرى .. أخت الحسين الشهيد وناصرته ١٥٩
- نسبية .. المجاهدة مع رسول الله ﷺ في غزواته ١٧١
- آمنة .. المهدى إليها رأس زوجها الشهيد ١٧٧
- بكار .. اللبوة المحصورة في مجلس معاوية ١٩١

جروءة.. والاستدعاء في الليلة الظلماء	١٩٧
حرّة.. البرهان القاطع أمام الحجاج القامع	٢٠٣
دارميّة.. وكلمة حق أمام سلطان جائر	٢١٥
سميّة.. شهيدة الإسلام الأولى	٢٢١
سودة.. بين عدل الإمام علي عليه السلام وظلم معاوية	٢٢٧
صفية.. عمّة النبي صلى الله عليه وآله والمحامية عنه	٢٣٥
فضّة.. خادمة الزهراء عليها السلام الناطقة بالقرآن	٢٤٥
عكرشة.. المقاتلة بالكلمات القاصمة يوم صفين	٢٦٣
عمرة.. زوجة المختار الثابتة الشهيدة	٢٦٩
غانمة.. وصرخة حق بجوار بيت الله	٢٧٥
ميمونة.. أمّ المؤمنين التي حثّت على نصره علي عليه السلام	٢٨٣
هند.. الشاعرة التي رثت الشهيد حجر	٢٨٩
الفهرس	٢٩٥